

الكتاب العربي السعودي ٥٧

حسين عبدالله سراج





الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشـــر

تهـامـة

جـدة - المملكـة العربيـة السعوديـة
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

الشوق..
إليك!

تقديم

وحضرت **مؤتمر الأدباء السعوديين** الذي عقدته **جامعة الملك عبد العزيز بجدة** عام ١٣٩٤ هـ وخرجت تلفّني غلالة النسيان، وتعتصرني مرارة الحرمان ألاّ أرى **إنتاجي** بين إنتاج **الأدباء السعوديين.**

وسرت على غير هدى، أجترُّ آلامي وأحزاني، وفي نفسي ما فيها على القائمين بتنظيم ذلك المؤتمر، وفي رأسي أفكار يساجل بعضها البعض، وما أكثر ما قتل منها في هذه المساجلة.

وكدت وأنا في زحمة ذلك الصّراع الفكري أن أطلّق كتابة المسرحيات الشعرية مادام قومي يتنكرون لي بالرغم من أني كنت بين شعراء الرعيل الأوّل الذين احتواهم ديوان **«وحي الصحراء».**

على أن ثورة غضبي لم تلبث أن هدأت بعدما تلوت ما تيسّر من آي الذكر الحكيم، فتابعت سيري، ورأيتني وقد رست سفينة الظلام أفيء إلى ربوة تطلّ على السّاحل حيث استقبلني نسيم البحر العليل، فخرجت من سيارتي، وافترشت أديم الأرض أستروح نسمات الشاطىء الباردة، وأستجلي نجوم السماء الساطعة، وسبح تفكيري في ملكوت الله تعالى فتناسيت ما جرى لي، وحملت ما فعله قومي معي على محمل حسن، وطفقت أردد ما قاله الشاعر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة
وقومي وإن ضنّوا عليّ كرام

وامتدت يدي إلى حقيبة السمسونايت ففتحتها وأنا أشعر بأني خلقت من جديد، وكأنّ شيئاً مما كان لم يكن.

وصمّمت أن أكتب مسرحية جديدة إن لم تكن في مستوى مسرحية **«غرام ولاّدة»** فلن تقلّ عنها شأناً، وقلت في نفسي يجب أن أنحو فيها منحىً لم يتطرّق إليه من سبقوني من أساتذتي مؤلّفي المسرحيّات الشعرية.

وكان أول ما فكّرت فيه هو: أن أنطق شخوص مسرحيتي الجديدة **بلغة البيئة التي يعيشون فيها.** فشيخ القبيلة في سكنه بالصحراء، والخادم بمنزل سيّدها، وابن الذّوات في المدينة، والحشاش في إحدى علب الليل... عندما يستشعرون تحسُّ في شعرهم بجو المكان الذي يقطنونه، وأنه مستمدٌّ من البيئة التي هم فيها... وأن شعر الخادم لا يرتفع إلى مستوى شعر **أبي تمّام والبحتري والمتنبّي** كما جرى عليه كُتّابُ المسرحيات الشعرية السابقون... حينما كانوا يستنطقون الخادم أو شيخ العشيرة، أو ابن الذّوات، أو روّاد علب اللّيل بشعر يسمو إلى منزلة فحول الشعراء في العصر العباسي...

ففي مسرحية «**الشوق إليك**»، عندما أدرك ضيوف شيخ العشيرة المساء، واستأذنوه السّفر، وأصرّ هو أن يبيتوا في «شِقِّه». لم يخاطبهم بلغة المجاملات الحضارية، لم يقل لهم: «**والله تشرفونا، وتسعدونا، وتتفضلوا علينا، وتناموا عندنا...**» ومن هذا القبيل... بل قال لهم:

يميناً تمرحون اللّيل عندي
وإن الصُّبح يا ضيفي قريبُ
نُقيم اللّيل حفلاً يعرُبياً
يُغنّي فيه شبّانٌ وشيبُ
على نَغَمِ الرَّباب ولحن شادٍ
وسُمّارٍ لهم صوت رطيبُ
ومزمار يغرّدُ والبوادي
تُصفّقُ والرّمالُ لها وجيبُ
وناي يغمرُ القيعان أنساً
وللقَيْنات ترديدٌ حبيبُ

فكلمات: «**يميناً**» التي ربما شفعها بكلمات «**الطلاق**» و«**تمرحون**»، و«**الرَّباب**»، و«**الشّادي**»، و«**السمّار**»، و«**البوادي**»، و«**وجيب الرمال**»، و«**النّاي**»، و«**القينات**» و«**القيعان**»... كلها كلمات منتزعة من البيئة التي يعيشها شيخ القبيلة.

كذلك عندما غادرت «لِـيلي» وطنها، أنشدت أبياتاً تنضح برقّة المدينة، وجمالها، وآثارها، وروائعها...

ومثل هذا القول يصدق على شعر رفقاء «**هارون**» الحافل بالتهكّم والسّخرية، وبعض الكلمات العامية المصرية بالإضافة إلى الوزن الشعري الذي ساعد على إضفاء مسحة المرح عليه...

وقد حاولت ألاّ يقتصر فهم شعر هذه المسرحية على الطبقة المثقفة كما فعل أسلافي من مؤلّفي المسرحيات الشعرية بل توخّيتُ أن يكون شعر هذه المسرحية من البساطة بحيث يفهمه العامة، وأنصاف المتعلّمين، بالإضافة إلى المثقفين... وفي ذلك تعميم للفائدة المرجوّة من وراء كتابة المسرحيات الشعرية...

وهذه المسرحية تعتمد في جملتها على الموضوعية والواقعيّة، وليس فيها افتعال للحوادث، كما راعيت أن يكون انسياب شخوصها وتحرّكاتهم على مسرح الحوادث طبيعياً، وقد استفدت من «**بحر الرجز**» أو «**حمار الشعراء**» كما يسمونه في تقارير الشرطة والنيابة، واستغليت «**تفعيلات المجازيء**» في حوار المسرحية..

وأملي، أخيراً وليس آخراً، أن يجد قارئي الكريم، في هذه المسرحية ما يرضيه...

المؤلف

شخوص المسرحية

عامـر	شيخ عشيرة في شمالي الجزيرة العربية
خالد بن عامـر	طالب في كلية الحقوق
خطّار بومالك	تاجر وملاّك
فـؤاد	ابن عم خطّار
هارون	اسم فؤاد فيما بعد
لِيلي	ابنة خطّار
ضحى	اسم ابنة خطّار فيما بعد
سونيا	مغنية
وَلْعَـهْ	مغنية
متـري	صديق فؤاد
سمعان	منافس فؤاد على حب «سونيا»

ونكرات مسرحية أخرى



(المشهد الأول)

(مناظر من شمال الجزيرة العربية، وناطق يدل على كل ذلك، وأخيراً تبدو مضارب عشيرة من البدو حيث نشاهد اجتماعاً في مضرب شيخ العشيرة «عامر»، وقد تصدّر المكان وبيده خيزران يعينه على تأدية كلامه «وعامر» شيخ عربي تخطى الخمسين من العمر، صبوح الوجه مشرقه، نرى الدخان صاعداً إلى عنان السماء، وصوت «مهباج»[1] القهوة الموسيقي يشنّف أسماع الحاضرين، أما المجتمعون، فقد انتظموا لتهنئة شيخهم بفوزه بنيابة مجلس العشائر[2]) .

أحد المجتمعين : هنيئاً شيخنا لك بالنيابه

ثان : هنيئاً للعشيره ....

ثالث : لا غرابه

فعامر سيد من خير فرع إليه دائماً تسعى النيابه

عامر : بكم قد فزت يا أهلي وقومي فأحكمت الرماية والإصابه

فأنتم عدّتي في كل بأس وأنتمُ أنتمُ نعم الصحابه

---

(١) وعاء خشبي له فوهة ضيقة يوضع فيها البن و يدق حتى ينعم.

(٢) مجلس العشائر هو المجلس الخاص بفصل قضايا عشائر البدو بحسب العرف والعادة المرعيين.

(وبينما كان المجتمعون يتحادثون، تقترب سيارة، وينزل منها ثلاثة أشخاص بما فيهم السائق، فيتلقاهم «عامر» بالبشر والترحاب قائلاً):

أهلاً بكم يا مرحبا أهلاً لنا واقربا

(يدخلون المضرب، ويلتفت «عامر» إلى أحد أتباعه قائلاً):

اصنع القهوة « سعد »
(وإلى تابع آخر) :
وانحر الخرفان « ورد »

أحد الضيوف : حييت يا شيخ العرب
الضيف الثاني : الشكر منا قد وجب
عامر : لا شكر يا ضيفي على ما قمت من خلق العرب
أحد الضيوف : أكرم بذيّاك النسب
الضيف الثاني : لقياك أنسانا التعب

(تدار القهوة على الضيوف)

(يحب «عامر» أن يعرف من أي البلاد العربية ضيوفه فيقول):

عامر : ممن القوم محتداً ومقاما من رُبى الشّام ؟
أحد الضيوف : من ذُرى « لبنان »

الضيف الثاني : منبت الأرز أرضنا
عامر : نعم أرض كرمت منبتاً وعزّت مغاني
نحن يا قوم أمّة وحّدتنا لغة الضّاد والدّما والأماني

(يتطلع «عامر» إلى الأفق فيرى غباراً كثيفاً يحجبه فيقول):

أرى غبـاراً تـسـدّ الأفـق ثـورته   وظـل سـيـارة تـعـدو وتـقـتـحـمُ
كـالـريـح جاريةً والسحب سـاريةً   لا الخـيـل تـدركها ـ كلا ـ ولا النَّعَمُ

(يتطلع الحاضرون إلى جهة الغبار و يقول أحدهم):

أحـد الأتـبـاع : لـعـلّ فيها «أبا الـنـعـمـان» [1]

تـابـع ثـان : يـا فـرحـي   لـقـيـا بها الـشـمـل يا مولاي ينتظم

(تـصـل الـسيارة إلى المضارب وفيها «خالد» «ابن عامر» وهو شاب وسيم الخلقة، مشرق المحيا، يرتدي الملابس الافرنجية. كان «خالد» يدرس الحقوق في الجامعة المصرية وكـان في الـسنة الأخيرة من الدراسة، وقد قدم في عطلة الربيع لزيارة والديه، وكان «خالد» محبوباً من والديه وأفراد عشيرته لما انطبع عليه من الرجولة وحب الخير ومساعدة الضعيف والمنكوب، ينزل «خالد» فيستقبله أفراد «العشيرة وعلى رأسهم والده»).

عـامـر : بـنـيَّ «خـالـد» أهـلا:

خـالـد : عـشـت يـا أبـتـي   ذخـراً لـنـا وملاذاً فـيـه نـعـتـصـم

(يـدخلون إلى المضرب و يصافح «خالد» أفراد العشيرة والضيوف ويجلس في الجهة المقابلة لأبيه. تدار القهوة العربية، يلتفت أحد الضيوف إلى «عامر» قائلاً):

---

(١) كنية ابن عامر واسمه «خالد».

أحد الضيوف :	بشراك يا سيّد الصّحرا بمقدمه	فقد تنوّرت البيدا بطلعتهِ
	وهلّل القوم بشراً وانثنوا طرباً	وباكر الغيث منهلاً لعودتهِ
عامر :	قدومكم كله خير ومنطقكم	سعد أطلّ علينا بعد غيبتهِ

(يلتفت الضيف الثاني إلى «عامر» مخاطباً):

الضيف الثاني :	أتسمح بالذهاب لنا فإنّا	تأخّرنا وقد حان الغروبُ
	ونحن طريقنا رمل ووعر	وبيد للمسافر لا تطيبُ
عامر :	يميناً تمرحون الليل عندي	وإنّ الصبح يا ضيفي قريبُ
	نقيم الليل حفلاً يعربياً	يغنّي فيه شبّان وشيبُ
	على نغم الرَّباب ولحن شادٍ	وسمّار لهم صوت رطيبُ
	ومزمارٍ يغرّد والبوادي	تصفّقُ والرّمال لها وجيبُ
	وناي يغمر القيعان أنساً	وللقينات ترديد حبيبُ

(يتطلع الضيوف إلى بعضهم فلا يجدون جواباً غير الإذعان لأمر «عامر»)

(المشهد الثاني)

(يبتدىء الحفل ، و ينتظم السمّار كعادتهم و ينشد الحادي القصيدة الآتية تصاحبه الربابة والمزمار والناي والطبول والدفوف ، وصفوف من شباب العشيرة يرقصون على الأنغام) :

النشيد :	يا بيد رحّبي	يا عيس قرّبي
	« صبّاً إلى صبّ »	قلباً إلى قلب

نرشف اللقيا مليّا
والهوى حلواً شهيّا
من فم منه بفيّا
يا له ريقاً ذكيّا

يا ظبية الفلا هيّا إلى الكلا
فالحي قد خلا والوصل قد حلا

نملأ البيد ابتساما
والروابي والخزامى
والندامى والهيامى
تنتشي منّا غراما

يا بيد رحّبي يا عيس قرّبي
« صبّاً إلى صبّ » قلباً إلى قلب

(ينتهي السامر و يذهب كل إلى مضجعه)

(المشهد الثالث)

(وفي الصباح الباكر يستأذن الضيوف بالسفر من « عامر »)

أحد الضيوف : آن الرحيل
عامر : إلى أين الرحيل ؟

الضيف الثاني : إلى « نجد » ففيها لنا سمن وأغنامُ

لنا شريك بسوق الغرب (1) زودنا مالاً وأرسلنا، والرزق أقسامُ

عامر : وما اسم هذا الشريك الشهم منبتهُ

أحد الضيوف : « خطّار بومالك »

(يضطرب «عامر» لدى سماعه هذا الإسم. لقد تذكر أنه قبل عشرين سنة مضت، كان ابنه «مهند» في أحد الأسواق العامة بلبنان، وأنه تشاجر مع «خطّار» هذا، وأن «خطّاراً» طعنه غدراً، ومات «مهند» متأثراً من جراحه. ثم هرب «خطّار» إلى أمريكا وها هو يعود. فهل للدم العربي أن ينسى؟ هل للعربي أن يترك الثأر؟ كل هذه الذكريات المؤلمة مرت في سرعة البرق، بخاطر «عامر» فآثر أن يستدرج محدثه ليأخذ منه أكثر ما يمكنه الحصول عليه من معلومات فاصطنع الفرحة وقال كمن يعرف «خطّاراً») :

عامر : « خطّار » غنّام

أحد الضيوف : « خطّار » تعرفه يا شيخ ؟

عامر : أعرفه فتى كريماً له عزم وإقدام

قد كان في سفره، هل عاد..

الضيف الثاني : عاد وقد أثرى وصار له ملك وخدام

عامر : بلغوه إذا رجعتم سلامي واشتياقي إلى اللقا، واحترامي

أحد الضيوف : سوف نفضي بما لقينا ونشدو بالسجايا وبالوفا، والذمامِ

الضيف الثاني : إن في هذه الربوع عظاماً وكراماً تحدروا من كرامِ

(يركبون سيارتهم و يذهبون، وحال ذهابهم يدعو «عامر» ابنه «خالداً»، واثنين من أتباعه المخلصين هما «فهد» و«منصور» و يبادرهم قائلا) :

---

(1) مصيف من مصايف لبنان

عـامـر : أتـتـنـي أنـبـاء تسر وتـقـلـق وتدعو إلى الإسراع فالثأر يزعقُ
يـنـادي وكـثـبـان الـبـوادي تجيبه أجل، حان للثأر القديم تحققُ

منصور : أنـثـأرُ، ممـن الـثَّـأرُ
فـهـد : لـقـد شـبَّـت بـي الـنَّـارُ
عـامـر : بـنـيَّ « مـهـنـد » دمـه أيـنـسـى ؟ إنـه عـارُ
« بـسـوق الـغـرب » قـاتـلـه لـه خـدم، لـه دارُ
منصور : تـنـاسـى الـوغـد فـعـلـتـهُ
فـهـد : تـنـاسـى الـثـأر «خـطـارُ»
خـالـد : ومـاذا تـرتـئـي أبـتـاه ؟

(يلتفت «عامر» إليهم جميعاً قائلا) :

قـولـوا فـرأيـكـم هـو الـرأي الـسـديدُ
منصور : على رجلين منّا أن يسيرا إلى بلد به الخصم اللدود
لـيـخـتـطـفـاه، إن قـدرا، فإن لم يحـزا رأسـه (يـشير بـيـده)
عـامـر : رأي رشـيـدُ
أرى أن تـذهـبـا
فـهـد : أنـا فـداءٌ
منصور : سنخطفهُ، سنفعل ما تريدُ

(يقبلهما «عامر» و يذهبان للاستعداد، و يعود «خالد» مع أبيه إلى المضرب وهو غير مرتاح إلى عمل أبيه)

(المشهد الرابع)

(هي «فيلا» أنيقة قائمة على ذروة التل، تطل شرفتها الأمامية على مدينة «بيروت» وجونها الجميل، حيث تكتحل العين بمشهد رائع خلاب، ومن وراء «الفيلا» حديقة غناء، فاحت أزاهيرها ونسقت أشجارها، ومهدت مسالكها، وأقيم فيها كهف صناعي يتساقط الماء من ثنايا صخوره في خرير عذب تستجم به النفس، وينشرح له الخاطر. كانت «الفيلا» ملكاً لـ«خطّار» الذي عاد من أمريكا موسوقاً بالدولار. نرى ابنته «لِيلي» وهي تداعب الأزهار وتناجي الطيور، وترقب بنظرة الهائم، الماء وهو ينساب من قلب الصخور. لقد اهتاجها المنظر فأسال عاطفتها لحناً عبقرياً رجعته الأطيار، وصفقت له الأشجار، وأنَّ له الماء حنيناً فتدفق يتلوى في خرير يردد أعذب الأنغام. «لِيلي» تغني والموسيقى تصاحب (غناءها):

الغناء :

دمي، يا ليته ينبوعُ ماءٍ — بوادي الحبّ ينسابُ العشيّةْ
يروي أنفساً عطشى غراماً — تكاد من الجوى تلقى المنيّةْ
وليتك يا حبيب معي بقفرٍ — وكنّا ظامئين به سويّةْ
لفجرت الدماء سيولَ ماءٍ — وقلت دمي لمن أهوى ضحيّةْ

(يظهر «فؤاد» ابن عمها، وهو رجل جاوز الأربعين، دميم الخلقة، تشف قسماته عن الغدر والخيانة، يحب «لِيلي» حبًّا أعمى، أرّقه وأسهده، و«لِيلي» تشعر أنه يحبها ولكنها لا تميل إليه أبداً، إنها على العكس بدأت تكرهه لتحشره بها، وملاصقته لها. لقد عمل «فؤاد» المستحيل لإرضائها فأرسل إليها من الهدايا ما

قيمته بالألوف ولكن القلوب لا تشترى ولا تباع. تنقطع «لِيلِي» عن الغناء فجأة وقد أبصرت «فؤاداً» وتتغير ملامحها، و يشيع الغضب في محياها، وقد كان قبيل قدومه طلقاً مرحاً. يقترب منها «فؤاد» قائلاً):

فــــــؤاد : «حياتي، منيتي، روحي، ملاكي فديتك غنّ يا نور العيونِ»
«إليك مددت «يا لِيلِي» يميني تؤدي العهد عن حبي المكينِ»
«وهذا القلب أوقفه «للِيلِي» أميناً مخلصاً أمد السنينِ»

(تضحك «لِيلِي» ساخرة، وكانت سخريتها سهاماً تسدد إلى قلبه حتى أثخنته بالجراح فتدفق دمه غضباً شاع في وجهه، وحزناً لمع في عينيه، وألماً رجعته حركات عطفيه فيقول):

أتضحكيــن؟

لِـــيـلِـــي : ولِـمْ لا ؟

فــــــؤاد : رب ضـاحـكـة بكت طويلاً على من كان يهواها

لِـــيـلِـــي : شـيـخ كـمـثـل أبيها عـمـرهُ

(وتشير إليه إمعاناً في إغضابه، فيشتد غضبه فيقول):

فــــــؤاد : «لِـــيـلِـــي» أتهزئين ؟

لِـــيـلِـــي : نـعـم، لـفـظـاً ومـعـنـاهـا

(و يتخذ فؤاد موقف المستعطف وقد رأى اندفاعها في إغضابه فيقول):

فــــــؤاد : كفاك صداً وهجراً وارحمي دنفا حياته في يديك اليوم ألقاها

(وتشفق «لِيلِي» على ذله ولكنها أرادت أن تضع حداً لآماله فتقول بجد وحزم):

لـيـلـي : لـقـد طـلـبـت محالاً..

(يصرخ «فؤاد» وقد هالته هذه اللطمة وحطمت آماله):

فـؤاد : أنـت قـاسية

(ويهتاج صراخه غضب «ليلي» فتجيبه):

لـيـلـي : أجـل..

(و يندفع «فؤاد» في ثورته فيقول):

فـؤاد : تـقـولـيـنـهـا مـا كـان أقـسـاهـا

(يـظـهـر والـدهـا «خطّار» من مكمنه الذي التجأ إليه ليسترق أحاديث ابنته وابن عـمـهـا، فأبصرته «لِيلِي» ففرحت بمقدمه، وهللت، وساء «فؤاداً» حضوره لأنه قـطـع عـلـيه خلوة ساعة على مرّها و بؤسها جميلة في نظر العاشقين أمثاله، «لِيلِي» تخاطب أباها):

لـيـلـي : أبـي : أتيـت..

(وتسعى إليه فيحتضنها و يقول):

خـطـار : نعم، بنتاه:

(ثم يلـتـفـت إلى «فـؤاد» مـتـظـاهـراً بـأنه ربما كان قدومه قد عكّر (صفو الحديث

فيقول) :

أحسبُني قطعت مجرى أمان..

(وتقول «لِيلِي» لنفسها) :

لِـــيـلِـــي : بـئـس مجـراهـا

(و يستمر «خطّار» في تجاهله فيقول) :

خـــطّـــار : فللأصائل يا لِـيلِـي مباهجها

(و يبتسم فؤاد و يقول) :

فـــــؤاد : وللخمائل يا عماه نجواها

(كان «خطّار» على علم بحبّ ابن أخيه لابنته. وكان يساعد على تنمية هذا الحب و يتمنى أن تحققه الأيام، فقد كانت «لِيلِي» وريثته الوحيدة. وكان يخشى إن هي أحبّت غير ابن عمها أن تنتقل ثروته إلى أناس ليسوا من أهله، ولكنه كان يتفادى إظهار هذه الرغبة لأن في إظهارها إكراهاً لابنته على حب ربما ساءت عواقبه، أضف إلى ذلك أن ثقافته وتربيته تحولان دون فرض مثل هذا الزواج. فهو إذاً يترك للزمن تحقيق حلمه. على أنه يحاول، كلما سنحت الفرصة، أن يجنح للتلميح والتعريض فنراه يقول) :

خـــطّـــار : وللشباب أحاسيس مجنحة   تعلو فيصعب مرآها ومسراها
وقد تفيض كنور الفجر مندفعاً   إلى الخمائل يسبيه محياها

(و يدرك «فؤاد» ما جال بخاطر عمه فيظهر إعجابه بما فاه به قائلاً):

فــــــؤاد : خيـالك الخصب أسرى بي تصوّره إلى نـعيم ودنـيـا مـا أحـيـلاهـا

(وتـضـيـق «لِـيـلِـي» ذرعـاً بـأحـاديـثـها التـافهة فتقول لأبيها وهي تتأفف):

لِـــيـلِـــي : الليـل أقبـل فلنذهبْ
خــطـــار : و يصحبنـا «فـؤاد» ...

(وتمتعض «لِيلِي» من تصرف أبيها الفجائي إلا أنها تخجل فتقول):

لِـــيـلِـــي : إن شــاء...

(يلتفت إلى «فؤاد» وإليها في نفس الوقت مكرراً «إن شاء »):

خــطـــار : يا نعمـى تمنـاهـا
أليس ذلـك مـا تبغـي ؟

(يهتبل «فؤاد» الموقف فيقول) :

فــــــؤاد : نعـم أبتــي نـعـمـى سـأحـفـظـهـا دوماً وأرعاها

(وتـريـد «لِـيـلِـي» أن تضع الخطة لتبيان أحاجي والدها وألغاز ابن عمها وقد راعها تطوّر الموقف، فتلتفت إلى أبيها سائلة إياه بسأم وضجر):

لِـــيـلِـــي : أبتـاه: مـا هـذي الأحـاجـي أفـصـحـا ... فلقد برمت وضاق ذرعاً صدر يا

(و يرى «فؤاد» الفرصة سانحة للقول ووضع حد لمحاولاته، فقد سئم هو صدودها، وأراد أن يكشف الحقيقة أمام أبيها عل «لِيلي» عندما تشاهد ميل أبيها إلى ابن عمّها، تخضع فتقبل الزواج به. يلتفت إلى عمّه مخاطباً):

فؤاد : **أأقول يا عماه..؟**

(و يريد «خطّار» أن يزيل ما بصدره من علّة فيجيب):

خطّار : **قل...**

(وتنتصب «لِيلي» وقد هالها أن ترى والدها راغباً في زواجها من ابن عمّها الكهل، وهو الذي تثقف ثقافة غربية أهم ما فيها: حرية الرأي والقول، فتلتفت إليهما قائلة وهي لا تملك نفسها من الغضب):

لِيلي : **أتآمرُ ؟! وتشاورُ ؟!   أحكمتماه معاً ليا ؟!**

(ثم تسرع فتغلق باب الجدل عليها فتندفع بصراحتها المعهودة مخاطبة «فؤاداً»):

إن كان ما تبغي الزواج.. فبئسما   أملت ما أنت النّزيل بقلبيا

(ثم تلتفت إلى والدها قائلة بنفس الصراحة):

أبتاه.. قلبي ليس سلعة تاجر   تشرى

(وتلتفت إلى ابن عمها مخاطبة بتهكم):

أتسمع يا فؤاد جوابيا ؟؟

(وتلوح لها بيدها وتعدو إلى جهة القصر تاركة والدها وابن عمّها في حيرة من تصرّفها. يصحو والدها من أثر الصدمة فيناديها):

خطار : لِيلِي : إلـيَّ...

(ويهزأ «فؤاد» بندائه فيقول) :

فؤاد : نداء الضَّال في أجمٍ لا الطّير رجّع ما نادى ولا الأجمُ
خطار : «لِيلِي»
فؤاد : لقد نفرت غضبي ولا أملٌ في أن تعودَ
خطار : ستأتي كلها ندمُ
فؤاد : «لِيلِي» ستندم! ما «لِيلِي» بنادمة ولو صرخت وبُحَّ الصوتُ والكلمُ
لما تركت عنان الرأي منفلتاً فلم تعد لجميل الرأي تحترمُ
حرية الرأي للأبناء مفسدةٌ الغرب أرسلها للشرق تخترمُ

(وعندما يتبيّن أن لا أمل في رجوع «لِيلِي» يصافح عمّه مودعاً قائلاً):

خطار : طاب يا عمّاه ليلُكْ وأطلَّ البشر فجرُكْ
صانك الله ويسَّر أمري اللّيل وأمرُكْ

(يذهب «فؤاد» يائساً يتلفت ذات اليمين وذات الشمال. و يبقى خطار وحده منفعلاً من عمل ابنته. يمشي بين ممرّات الحديقة ذهاباً وإياباً يقلّب هذا الأمر على وجوهه وهو يقول):

قد بلوت الزمان حلواً ومراً واحتسيتُ الحياة صاباً وجمرا
عجمتني فكنت أصلب عوداً وأناخت فكنت أرحبَ صدرا

ما «لِليلِي» وخيرها كنت أبغي ما «لِليلِي» تَشيخُ عنه وتبرا
قَدَرٌ، رُمْتُ أن يكون وشاءتْ حكمة الله غير ذلك أمرا

(يهمّ «خطّار» بالدخول إلى منزله، وإذا بشخصين ملثمين هما «منصور» و«فهد» يخرجان من بين الأشجار مصوّبين إلى صدره مسدسيهما و يقول «منصور» له) :

منصور : مكانك قف...

(يقف «خطّار» مكانه وقد أخذه الموقف. يتفرس في الشخصين الملثمين علّه يعرفهما، بيد أن الظلام يمنعه من تحقق هو يتهما. يشير منصور إلى رفيقه قائلاً) :

كبّلْ يديه...

(ولما اقترب منه ليكبّله يقول له «خطّار») :

تريَّثا بربّكما ماذا جنيت؟ وما الذنبُ؟
فهد : هو الثأريا «خطّار» هل أنت ذاكر أخاً غلته في ليلة ذكرها كربُ

(يسترجع «خطّار» الماضي البعيد ويجيب) :

خطار : أجل...
منصور : حان وقت الثأر أوثقه جيداً ليعلم أن الثأر لم ينسه العربُ

(يكممان فم «خطّار»، و يسوقانه و بينما هم كذلك يمر خادم من خدم خطار فيرى سيده على هذه الحال فيصرخ فيلحقه أحدهما و يضرب به بالمسدس على رأسه فيقع على

الأرض مغشياً عليه. يقود الملثمان خطاراً إلى سيارة خارج بوّابة الدار و يرميان به داخلها وتتحرك تنهب الأرض نهباً و«خطار» غارق في تفكيره لا يدري مصيره ولا يدري ما الذي سيحل بابنته إذا ما افتقدته غداً).

(المشهد الخامس)

(يفيق خادم «خطّار» بعد منتصف الليل من ضربته، و يذهب مترنّحاً وآثار الألم بادية عليه إلى غرفة «لِيلي» فيطرق الباب، فتصحو مرعوبة وتُشعلُ نور غرفتها، وتضع على كتفها الروب ثم تقول):

لِـيلِـي : من أنت ؟

الخـادم : «يوسف»

لِـيلِـي : ما تبغى

الخـادم : أبوكِ..

لِـيلِـي : أبـي ما بالُـهُ ؟

الخـادم : خطفاهُ : اثنانِ..

لِـيلِـي : كيف جرى ؟

(وتفتح الباب فترى «يوسف» في منظر يقشعر له البدن فتضع يدها على عينها بينما هو يقول):

الخـادم : شدّا يديه وكمّا فاه واتخذا من الظلام ستارا

لِـيلِـي : بئسما استترا

(ثم تردف في لهفة وقد أدركت خطورة الموقف) :

ووالـــدي بعـد ذا..؟

الخـــــــادم : جـرّاهُ وانـطـلـقـا ... صـرخـت كـان جزائـي ضـربـةٌ وثـرى
فـرحـت في غيبة من وقعها وجرت على الثياب دمائي، انظرى الأثرا

(تـغـمـض «لِيلِي» عيـنيها من رؤ ية الدم، ثم تسرع إلى الهاتف وتطلب قسم البوليس):

لِــيـلِــي : هـلو : يـا مخفـر الشرطـه أبـي «خـطّـار» قـد خـطـفوه
جنـاة أحكمـوا الخطـه أخـاف اللّـيـلَ أن يـقـتـلوه
تـلفنـوا للحـدود
وانشـروا الجنـود عساهم ، ربَّما أن يدركوه

(وتتوقف وكان البوليس يجيبها ثم تقول) :

سـتـرسـلـون ... سـتـذهـبـون شـكـري عظيمْ

(ثم تضع السماعة وتقول) :

خطبي جسيمْ

(وتـمـشي في أصالة جيئة وذهاباً وهي في حالة حزن شديد. تصدح الموسيقى أنغاماً حزينة، ثم لا تلبث «لِيلِي» أن تغني والموسيقى مصاحبة):

الـغـنـــاء : أبـي خـلـفـتـني وحدي ومالي أخ يحـنـو ويـدفـع ما بُـلـيـنـا
ذهبت ولست أدري يا لبؤسى أتـرجـع أم تـرى تـبـقـى رهينا

يعذّبُ جسمك الواهي قساة | أبت أكبادهم أن تستلينا
تفكّر فيَّ يا أبتاه دوماً | وقلبُكَ ما ذكرت بكى حنينا
أتطلقُ من إسارك، لست أدري | وترجع يا أبي يوماً، إلينا

(يدخل رجال البوليس فتهرع إليهم قائلة) :

لِيلِي : أبي ... خطفوه
ضابط البوليس : كيف جرى ؟ أبيني ؟

(تلتفت « لِيلِي » إلى الخادم مستنجدة به فيقول) :

الخادم : رأيت ملثمين يكبلانهْ
صرخت.. هوى مسدسهم برأسي | فغبت عن الوجود بعنفوانهْ

(يدوّن كاتب البوليس ذلك، ثم يذهبون جميعاً إلى مكان الحادث و يفتش الضابط ومن معه على الأثر ثم يودّع «لِيلِي» قائلاً) :

الضابط : سنبذلُ جهدنا
لِيلِي : ربّي أعنهم | وطمّني على أبتي وشأنهْ

(يذهبون. وتعود «لِيلِي» إلى مخدعها وهي تبكي، وتظل ساهدة على هذه الحال إلى مطلع الشمس فتهبّ إلى الهاتف وتطلب قسم البوليس) :

لِيلِي : هلو: هل جدَّ عن أبتي جديدٌ ؟ | أوفّقتم...
الضابط : مع الأسفِ الشديدِ

(ترمي السمّاعة، وترمي بجسدها على المقعد وتبكي بكاء مراً، يدخل «فؤاد» ابن عمها فتهتف إذ تبصره):

لـيـلـي : «فـؤاد» إلـيَّ...

(يسرع إليها قائلاً بلهفة):

فـؤاد : «لِـيـلِـي» خـبّـريـنـي أمـا عـثـرتْ مخـافـر في الحـدودِ
على عـمّـي ومن خـطـفـوه قـولـي أمـنْ خـبـرٍ؟ أمـن نبأٍ جـديـدِ

(وتجيبه «لِيلي» والألم يحز صدرها ونفسها):

لـيـلـي : تعامتْ عنهم الأخبارُ
فـؤاد : «لِيلي».. أراك يئستِ..
لـيـلـي : مـن وعـد بـعـيـدِ
فـؤاد : سـأذهـبُ بـاحـثـاً، ربّـي أعـنّـي ووفّـقـنـي إلى رأيٍ سـديـدِ

(يذهب تاركاً «لِيلي» في يأس مرير وعبرة مخنوقة من شدة الحزن، يدخل «محمد» خادم أبيها ومربّيها الذي ينظر إليها كابنته وتعتبره هي بمثابة والدها فتقول له):

لـيـلـي : «محمد» ضاقتِ الدُّنيا بوجهي وأدمى الحزن تفكيري وحسّي
تُـقـلّـبـنـي الهـموم على أكفٍّ فـمن يـأسٍ يهـدهـدني لِـيـأسِ

(ويحاول «محمد» تهوين الأمر عليها فيقول):

محمـــــد : فـديتـك هـوّني فالصّبر أولى — لـقـد نـفـدَ التـصبُّـر يـالَـبؤسي
لـيـلـى : أكـــاد أجَـــنُّ ...
محمـــــد : مـــولاتـــي أنَـــاةً — فـــإنَّ الله يــفــرج كـــلَّ يـــأسِ

(المشهد السادس)

(نرى خطاراً وخاطفيه في صحراء الشام راكبين، كلٌّ على جمل ونسمع خطاراً يردد):

خــطّـــار : مـا قـدَّر الله لا مـنجى ولا هربٌ — كـلٌّ مـصـائـره تـأتـي على قَدَرِ

(وأما خاطفاه فنسمعهما يغنيان بعض الأغاني البدوية):

(المشهد السابع)

(ولما أيقن «فؤاد» —على مر الأيام— أن لا رجعة لعمه، طرأت عليه فكرة لم يشعر معها إلا ورجلاه تقودانه إلى سيارته الفخمة فيستقلها و يتخذ طريقه إلى بيروت. وفي أحد مراقصها الجميلة يجلس إلى مائدة، وتراه «سونيا» وهي مغنية وراقصة كان «فؤاد» يهواها وهي تحبه حباً جنونياً فتسرع إليه وتحييه بشوق، ولكنه لم يبادلها هذا الشعور بل كان غارقاً في تفكيره، فتلكزه قائلة):

سونيا : «فؤاد» ـ قل لي ـ أراك اللّيل مضطرباً
فيم التفكر يا روحي وما السببُ؟
فؤاد : لا شيء يا سونيتي، لا شيء أكتمه
سونيا : لا شيء! إنك مهمومٌ ومكتئبُ

(ثم تستدرجه وقد علمت بحبه الجديد «لِيلِيلي» وبحادث خطف أبيها فتفاجئه قائلة):

لعل «لِيلِي» بخير بعدما خطفوا منها أباها وضلّ السعيُ والطلبُ
فؤاد : قد هدّها الحزنُ واليأس المرير بها أزرى وساء لها حال ومنقلبُ

سونيا : إذاً تُفكّر فيها؟
فؤاد : كيف لا...
سونيا : وأنا نسيتني...

(و يدرك «فؤاد» خطأه فيعمل على تدارك الموقف قائلاً):

فؤاد : ما نسيتُ العهدَ
سونيا : ذا كذبُ
نحرت قلبي على عهد الوفاء فدى لقلبك الصخر ما حنّت به شعبُ

(ثم تنهض وتذهب فيناديها):

فؤاد : «سونيا»

(وتجيبه سونيا وهي ضاحكة بمرارة):

سونيا : أتحسِبُني بلهاءَ غافلةً تلهو بها، بئسما ترجو وتطّلبُ

(وتذهب وهي في حالة جنونية. أما «فؤاد» فقد ظل بعد ذهاب «سونيا» يقلّب تلك الفكرة على وجوهها. فلما انتهت السهرة كان هو قد انتهى إلى قرار بشأن فكرته. فعاد إلى «سوق الغرب» وهو عازم على التنفيذ. فيطرق باب اثنين من شياطين أعوانه فيفتح و يدخل و يغيب ثم يخرج ويخرج بعد ذهابه اثنان يتّخذان طريقهما إلى بيت «لِيلِي» فيرجمان زجاج الشبابيك بالحجارة ويهربان فتهب «لِيلِي» من نومها مذعورة على صوت زجاج شباك غرفتها المهشّم وقد تطاير وتناثر على فراشها وأرض غرفتها وكاد الحجر المهشم يصيبها فتسرع «لِيلِي» إلى التليفون فتطلب البوليس، وقد تملّكها الذعر والخوف):

لِـيـلِـي : هلو: يا شرطة أدركونا — لصوص هاجمونا
هدّموا الدار حطموا الأبواب — هشموا الزجاج: بالحجار
أدركونا.... أدركونا

(تضع السمّاعة، وهي ترتجف هلعاً، يدخل خادمها «محمد» ليطمئن عليها قائلاً):

محمد : لعلك لم تُروَّع
لِـيـلِـي : أيُّ روع — لقد بلغ التخوُّفُ بي ذراهْ

(ثم تسأل بلهفة):

وهل عُرِف الجناةُ ؟
محمد : لقد طواهمُ — سوادُ اللّيلِ في بيدا دجاهْ
لِـيـلِـي : وأين الحارسون؟ ألم يروهمْ
محمد : إذا الرَّاعي غفا ضاعتْ شياهْ

(يدخل ضابط البوليس وجنوده قائلاً):

الضابط : لقد فرَّ الجناة وقد تبعنا خطاهم والدَّليلُ بدا سناهُ
ليلي : أهم من خاطفي أبتي؟
الضابط : يقيني بأنَّ هُمْ يداً فيا نراهُ
بحفظ الله...
ليلي : أشكرُ ما بذلتمْ من التفتيشِ
الضابط : وفقنا الإلٰهُ

(ويذهب ضابط البوليس ومن معه، وتقضي «لِيلي» ليلة ساهدة وفي الصباح يدخل عليها «محمد» فتقول له):

ليلي : تعقدت الأمورُ وطال لَيلِي وليلُ الهمّ ليس له صباحُ
غياهبُ ما لها صحوٌ وعمرٌ بكاء أمسهُ وغدا نُواحُ
تُرى كُتِبَ الشَّقاءُ عليَّ...

(ويدخل «فؤاد» مسرعاً متصنّعاً الاهتمام والحزن ويقول بلهفة):

فؤاد : «لِيلي»
ليلي : فؤاد: أخالف المسعى النجاحُ؟
فؤاد : لقد عمِيَ الدَّليلُ وضلَّ جُهدٌ وتاهَ بمهمهِ الدُّنيا كفاحُ

(تبكي «لِيلي» ولكنها سرعان ما تتجلد، فيهوّل «فؤاد» الأمر ويعقّد الموضوع ليفسح للرعب مجالاً في قلب «لِيلي» فيقول):

وأخشى...

لِيلِي : ما الذي تخشى؟...

فؤاد : أتاني حديثٌ لا يَسُرُّ إذا يباحُ

(وتتلهّف «لِيلِي» وتسأله):

لِيلِي : وما هو؟

فؤاد : إنه غدرٌ بلِيلِي

محمد : (ساخطاً) أأصبحنا سبايَا تُستباحُ

أهُنَّا هكذا حتّى غدونا مواتاً لا تَؤزّهُمُ الجراحُ

لِيلِي : فأين حُماتُنا

فؤاد : (متهكّماً) ضعُفوا فهانُوا

لِيلِي : أما للأمرِ يا ربّي صلاحُ؟

(ويمتقع لونها فزعاً وفرقاً فتقول) :

إذاً ترويعهم ليلاً نذيرٌ بشرّ

(و يرمي «فؤاد» بقنبلته في الوقت المناسب فيقول) :

فؤاد : إنّهُ شرٌّ صُراحُ

يرومون اختطافَكِ

(ويهول «لِيلِي» الهدف فتصرخ) :

لِيلِي : يا إلٰهي إذا اللّيثُ اختفى كثُرَ النُّباحُ

(ثم تقوم من مكانها إلى الغرفة المجاورة وترمي بنفسها على المقعد باكية منتحبة، و يأخذ «فؤاد» الخادم «محمداً» و ينتحي به جانباً و يقول له):

فـــؤاد : **وحيدة أصبحت لِيلِي وليس لها غيرى**
محـمـد : **أجل ورجاها أنت والطلبُ**

(ويخيّل لـ«فؤاد» أن الفتاة ومربّيها قد أصبحا بحاجة إليه، فيقول بلهجة الآمر التّاهي):

فـــؤاد : **أريدها ـقل لهاـ زوجاً فقد عبست لها الحياة وعين الشر ترتقبُ**
والمجرمون متى ما زُوِّجت حذروا بطشي وزُلزل ما كادوا وما نصبُوا

(يجري كل ذلك و«لِيلِي» تسمع وتكاد تتميز غيظاً أن ينتهز هذا الوغد الفرصة ليفرض نفسه عليها. و يذهب«فؤاد» إلى حديقة منزل عمّه ينتظر النتيجة، و يدخل «محمد» إلى «لِيلِي» فتبادره قائلة):

لِـيـلِـي : **محمد.. جئت من عند ابن عمّي رسولاً: ينقل الخبر المسرّا**

(ثم تضحك ضحكاً جنونياً فيستحي «محمد» و يقول):

محـمـد : **لعلّي مخطىء**
لِـيـلِـي : **بل أنت نذلٌ تآمر واللّئام عليَّ جهرا**
محمد.. كنت لي درعاً وردءاً إذا الأيام جارت كان ذخرا
محمد.. جئت تخطبني لوغد محمد.. كيف تطلب ذا وتجرا

(و يسوء محمداً اندفاعها وطعنها في إخلاصه فيقول) :

محـــمـــــد : فـديـتـكِ خـفّـفـي لومـاً وذمّا لـعـمـرك مـا أتـيـت الـيـوم نـكـرا
لقد طلب ابن عمّكِ منكِ أمرا حـلالاً مـا ابـتـغـاه ولـيـس كـفـرا

(وتقاطعه «لِيلي» محتدة) :

لِـــيـــلِـــي : محـمـد.. قـل لـه طـلبٌ محالٌ يَـعِـزُّ عـلـيَّ تـلـبـيـة المحالِ
لـقـد آلـيـت مـا أنـفـك أبـكـي على أبـتـي، على زيـن الـرجـالِ
لـعـلّـي أسـتـطـيـع لـقـاه يـومـاً وإن شـطّ المـزار على سـؤالـي

(وتبكي ... فيقول محمد) :

محـــمـــــد : سأفعــل ...

(و يـذهـب تـاركـا «لِيلي» في حيرة لا تدري ماذا تفعل وماذا سيكون رد الفعل —عند فؤاد— على جوابها فتقول وهي شبه نادمة على تسرّعها) :

لِـــيـــلِـــي : ويـح قـلـبـي! مـا لـعـقـلـي؟ أراه الـيـوم نـهـبـاً لـلـخـيـالِ
تـردّى في مجـاهـل مـن ظـلامٍ فـمـن حـالٍ يـقـود لشرّحـالِ
تـكـاثـرت الهـمـوم عـليَّ حـتّـى تـكـسّـرت النّـصـال على النّصالِ

(و يسرّ «محمد» إلى «فؤاد» بجواب «لِيلي» فيزمجر و يتوعّد) :

فـــــــؤاد : رفـضـت يـا ويـلـهـا إذ رفـضـتْ وبـقـلـبـي نـقـمـة قـد أيـقـظـتْ
سـأجـازيـهـا على مـا فـعـلـتْ

(ثم تتغلب عليه العاطفة القديمة فيقول) :

ليتها ما ارتكبت.. ما ارتكبتْ

(ويخرج مسرعاً فيعود «محمد» لسيدته فيراها جالسة حزينة فتسأله) :

لِيلِي : محمد : ما وراءك ؟
محمد : كل شرٍّ لقد آلى ابن عمّكِ لن يناما
سيثأر منكِ يا لِيلِي
لِيلِي : إلهي أعِنّي واكفني شراً ترامى

(و يدرك محمد بعينه البصيرة وعقله المجرّب، أن فؤاداً سيفعل المستحيل لإخضاع لِيلِي، وأنهم مقبلون على تجارب مريرة فيرى أن يهرب بـ«لِيلِي» بعيداً عن منطقة نفوذ «فؤاد» حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فيقول لها) :

محمد : أرى أن تهجري لبنان حتّى ينير البحث سراً قد تعامى
ويعرف ما جرى لأبيك حقاً وأين تراه يا لِيلِي أقاما
ونخلص من أحابيل ابن عمّ عليه لعنة المولى دواما

(و يظهر أن الفكرة قد راقت لـ«لِيلِي» فاستجابت لها بقولها) :

لِيلِي : أؤيد ما ارتأيت، ونعم رأي ولكن، أين نذهب يا محمد ؟

(وكان محمد مصري الأصل قدم لبنان في طلب العيش وانتسب لخدمة «خطار». وقد هاجه الحنين لوطنه حين ردّد اسمه، وإذا به يقول) :

محمد : إلى مصر العزيزة يا لشوقي ويا وطني إليك العود أحمد

(وتدرك «ليلي» — لأول مرة — أن مربّيها مصري فتقول له) :

لِيلي : أمصري؟

محمد : أجل، وطناً وقوماً — ومجداً، نوّر الدنيا وأسعدْ

لِيلي : وأهجر موطني لبنان قهراً — يعزّ عليَّ أتركه وأبعدْ

(ثم تندفع مغنّية والموسيقى تصاحبها) :

الغناء : وطني لبنان يا مهد الجمال — يا منار المجد يا دنيا الجلالِ
خلُد الحسن بهامات الروابي — وتسامى الفكر في مسرى الخيالِ
وطني لبنان حيّتك الأماني — في قشيب البرد والسحر الحلالِ
فانسياب النهر أنغام هيامي — تبعث النشوة في صمّ الجبالِ
صفّق الوادي وأشجاه سراها — وشدا الطير وصحب في التلالِ
وندامى ضمّهم راحٌ وروحٌ — في ظلال الأرز في دنيا الجمالِ
كيف أسلو؟ كيف أنسى ما جرى لي — وطني لبنان ما أقسى اللياليِ
يتّمتني، أجهدتني، عذّبتني — فمصيري ساء من حال لحالِ
فوداعاً منبت الأرز وداعاً — يا رُبى الخلد وأقيال الرجالِ

(ثم تنصرف وخادمها لتهيئة وسائل السفر) :

(المشهد الثامن)

(وفي المساء نرى فؤاداً في داره أمام منضدة عليها ما لذّ وطاب من أكل وشراب، وهو يجرع كؤوس الندم لعله يطفىء بها أوار خيبته وإخفاقه، و بينما هو غارق في تفكيره، إذ بالجرس يقرع، فيذهب لفتح الباب وإذا به وجهاً لوجه مع «سونيا» حبيبته الأرتيست فتفاجئه الزيارة غير أنه يمسح أثر المفاجأة بابتسامة مجاملة فيقول):

فؤاد : «سونيا» : أتيت...

سونيا : نعم ...

فؤاد : يا مرحبا بمنى قلبي...

(وتسخر «سونيا» من هذا الترحيب فتجيبه) :

سونيا : أظل به مأوى...

فؤاد : أجل سبل

(ثم يأخذ بيدها في يده ويجلسها إلى الخوان قائلاً) :

فؤاد : هيا اجلسي...

(ويملأ قدحها وقدحه و يقول) :

واشربي نخب الهوى قدماً وحاضراً وادن منّي فالهوى قبلُ

(ثم يمازحها فلا تمانع ولكنه لا يتمادى. وفؤاد بعمله هذا إنما يريد أن يعرف أسباب الزيارة من غير سابق موعد، فتراه يستدرجها قائلاً:

ما جدّ يا سونيتي؟ قولي

سونيا : أتسألني

(ثم تندفع في قولها) :

وأنت تعلم ما بالقلب يعتملُ

أخلصت ودّي فأخلفت الوداد وما — أجدى بكائي ولا ذلّي ولا الرّسلُ

والعمر أفنيته أبغي رضاك جزى — على وفائي فضاع العمر والأملُ

(وتحتد و يبلغ الانفعال مبلغه حين تقول) :

قدّمت قلبي قرباناً فرحت به — تلهو وتشبع نهماً فيك يقتتلُ

حتى ارتويت تركت العرض منهتكا — والقلب منصدعاً والدمع ينهملُ

(و يريد «فؤاد» تدارك الموقف فيدنو منها و يعبث بشعرها و يقول) :

فؤاد : ما تنكّرت يا حبيبة قلبي

سونيا : بل تجنّيت واستهنت بقلبي

فؤاد : لا وحسبي من الهوى وليال — بتُّ أشكو لها سهادي وحبي

والغرام العتيّ يوم رآك — سلم القلب للهوى والتصبي

أبداً ما نسيت عهدك سونيا

(و يربت على كتفها قائلاً) :

ونعيماً من الجمال بقربي

(ثم تشيع في عينيه الشهوة البهيمية فتدرك ما يجول بخاطره، وخاصة عندما يكرّر قوله):

أبداً ما نسيت عهدك «سونيا»

(وتنتهز سونيا الفرصة فتقول) :

سونيا : حسن ما تقول .

فؤاد : أشهد ربّي

(فتداعبه سونيا تعبث بشعره قائلة) :

سونيا : لِمَ لا تعلن الزواج ونحيا في نعيم من اللذاذة رحب

(و يصعق فؤاد من هذه المفاجأة ويمسك بيدها التي كانت تعبث بشعره و يقول):

فؤاد : الزواج ؟

(و يبتعد عنها قليلاً بينا هي تسبح في بحر من الخيال يتجلّى في قولها):

سونيا : الزواج أسمى أماني كل أنثى ومرتجى كل صب

(ويجيبها فؤاد بجفاء وقلّة اكتراث ومبالاة) :

فؤاد : لم أعدك الزواج ...

(وتجن «سونيا» من جوابه الجاف، وكانت تنتظر منه الإشفاق بعد ما سلّمته أثمن ما عندها فتقول والغضب يغمر محياها):

سونيا: ويحك يا نذل انتهكت الثمين: عرضي وقلبي

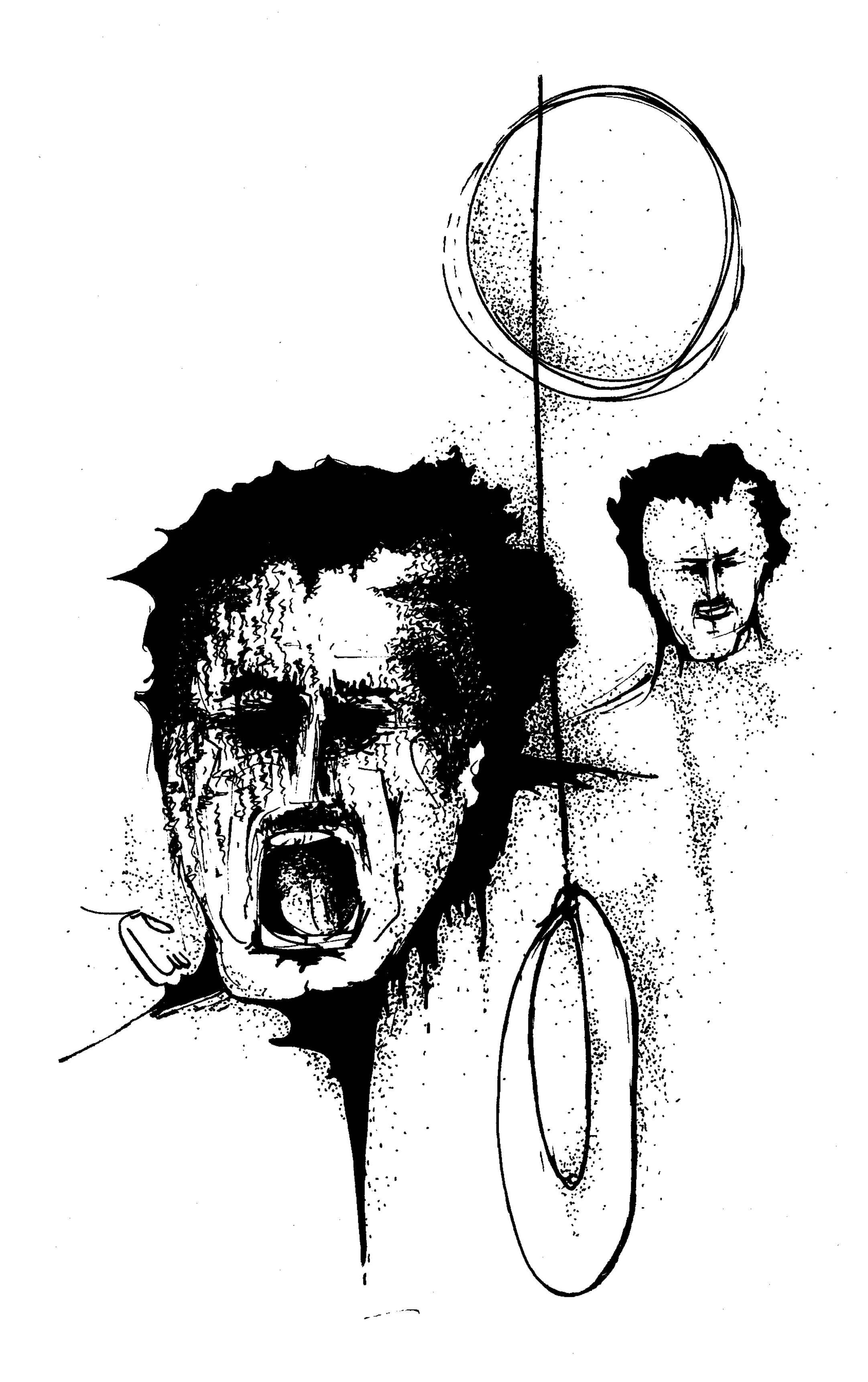
(ثم تنتصب وتسحب مسدساً من جيبها أعدّته لهذه الساعة وما ان يراه فؤاد حتى يقف وقد بدت على وجهه أمارات الخوف وظهرت في قوله):

فؤاد: ما أرى ؟..

سونيا: طلقة تريح ضميري من لئيم وسافل وابن كلب

(ويهجم «فؤاد» عليها محاولاً انتزاع المسدس، وتبدأ المصارعة و«سونيا» متمسكة بمسدسها وهو يجاهد لانتزاعه منها. وتنقلب مائدة الطعام وقد اصطدما بها أثناء العراك و يقع ما عليها من شموع وسجاير فتندلع النار في أثاث الغرفة. والإثنان مايزالان يصطرعان. وأخيراً يتمكن «فؤاد» من الضغط على زناد المسدس فتنطلق منه رصاصة تصيب مقتلاً من «سونيا» فتهوي على الأرض جثة هامدة. يحركها «فؤاد» فلا تتحرك فتتراءى له جريمته و يتراءى له لهب النار وقد اشتد وامتد إلى الغرف المجاورة. و يسمع أصواتاً من الخارج فيصمم على الهرب، ويخرج بصورة عجيبة من بين ألسنة النار وقد علا أوارها، ولا يشعر به أحد و يسرع رجال المطافىء لإخماد النار فيعجزون عن إطفائها فتمتد حتى تأتي على كل ما تصادفه من بيوت ودكاكين حتى تصل فيلا «خطّار» فتلتهمها وتنجو «لِيلِي» وخادمها «محمد» بأعجوبة، وقد فقدت كل شيء. وأخيراً يتمكن رجال المطافىء من إخماد النار بعد أن أصبحت فيلا «خطّار» وما حولها من الدور أثراً بعد عين. أما جثة «سونيا» فقد أصبحت رماداً ولم يبق من آثار الجريمة إلا المسدس. فيعتقد رجال المباحث أن «سونيا» وفؤاداً ذهبا حرقاً.

وتوطن «لِيلِي» نفسها — بعد هذا الحادث — على ترك لبنان فتلتفت إلى محمد المشدوه حزناً على ما حدث وتقول):



لِيلِي : إلى وطن الكنانة يا محمد فما أبقت لنا الأحداث شيا
فلا أهل ولا مال ودار خرجنا مثلما جئنا فهيا

(و يذهبان، بعد أن تلقي «لِيلِي» آخر نظرة على أنقاض دارها وتكفكف دمعاً أبى إلا أن ينهال جزعاً وحزناً على فراق وطنه. و يأخذان أول سيارة إلى بيروت ومنها بالطائرة إلى القاهرة):

(المشهد التاسع)

(يصل «خطّار» إلى حي الشيخ «عامر»، وخاطفاه مشهران السلاح في زهو وكبرياء. و يتجمع أهل الحي وتشيع فرحة الانتقام في وجوههم و«خطّار» مطرق الرأس ينتظر مصيره المظلم. أما «خالد» فقد أخذته الشفقة والرحمة عندما نظر إلى «خطّار» وقد جلّله الشيب وهدّه اليأس، وأما أبوه «عامر» فقد تهلّل وجهه بشراً بدنو ساعة الأخذ بالثأر بعدما يئس من أخذه. يتقدم الخاطفان بخطّار إلى مضرب الشيخ «عامر» و ينبري «منصور» للكلام):

منصور : جئنا بخطّار
عامر : لا مرحى لخطّار يا صرخة الثأر من جان وغدّار
اليوم يا عين كفّي عن بكاك على «مهند» وخذي في أهبة الثأر
من مجرم غاله رأد الضحى بيد قد لطخت بالدما، بالخزي والعار
ولّى إلى أمريكا خائفاً وطوى بحراً خضمًّا على فلك به جار
عشرون عاماً مضت والثأر ما انطفأت نار له ودوي مرعب سار
عشرون عاماً قضى خطّار مغترباً والثأر لما ينم عن غدر «خطّار»

(يتطلّع «خطّار» في وجوه القوم فيرى فيها الشر إلا وجه «خالد» فقد كانت الشفقة ممزوجة بالامتعاض ظاهرة على محيّاه. ينفلت «خطّار» من بين آسريه و يلتجىء إلى «خالد» و يتعلق بأذياله قائلاً):

خطّار : **بك استجرت: أجرني في حماك ولا تخب رجائي ولا تبخل بإيثاري**
شطت بي الدار لا أهل ولا وطن ولا صديق فكن عوني وكن جاري

(و يصرخ «عامر» في خاطفيه) :

عامر : **خذوه : غلّوا يديه...**

(يسرعان إلى «خطّار» ومعهما الأغلال. يلتفت «خالد» إلى أبيه وإلى الخاطفين مشيراً بيده إليهما بالتريث. ثم يخاطب أباه):

خالد : **دعه يا أبتي فإنه في حماي اليوم**

(و يصرخ «عامر» من هول المفاجأة) :

عامر : **يا عاري**

(و يسري لغط وضجيج بين الحاضرين وتشعّب في الآراء و يرى الكثيرون أن في عمل «خالد» خروجاً على التقاليد العشائرية المعروفة عندهم ولاسيما والمقتول أخوه، و يرى عقلاء العشيرة — وهم قلّة — رأي «خالد». أما «خطّار» فيتنفس الصعداء، و يلتصق بـ«خالد» كأنه قطعة منه و يستمر «عامر» في صراخه وسخطه مخاطباً ابنه):

عـــــــامـــــر : نـسـيـت مـهـنـداً ونسيت ثأراً لـقـد جـلّلـتـنـي خزياً وعارا
خـرجـت على العوائـد لـست منّي ولا أنـا مـنـك مـقـربـة ودارا

(ويهتبل «خالد» الفرصة لينقذ الموقف فيقول) :

أنـاتـك يـا أبـي والحـلـم أولى بمـثـلـك إن رأى مـنـي عـثـارا
صـحـيـح أنـني آويت خـصـماً حـلال قـتـلـه عـرفـاً وثـارا
وثـرت على تـقـالـيـد لـقـومي رعـت بـيـداً لهـم وحمت ديـارا
وسـار بـذكـرهـا حـاد بـركـب وغـنّـى مـطـرب وشـدا فـخـارا
بقايا من تراث العرب كانت لهـم سنـنـا. لهم كانت منارا
ولـكـن الـزمـان أتـى عـلـيهـا ودك صـروحـهـا فـغـدت دمارا
وبدّلهـا شـرائـع قـد تـمـشـي عـلـيهـا الـنـاس كرهاً واختـيارا
ونحـن الـعـرب جـارينـا زمـانـاً على عـاداتـنـا المـثـلـى أغـارا

(ثم تتغير لهجته و يبدو عليه التأثر فيقول) :

عشرون عاماً على الجرم الفظيع مضت والعدل ما اقتص للمقتول من جاني

(و يقاطعه «عامر» محتداً بعد أن نفد صبره) :

عـــــــامـــــر : إن أخـفـق الـعـدل في تحـقـيـق مـا رسـمـت يـداه فـالـثـأر يـطـفي غل ظمآن
خـــــالـــــد : الـثـأر يا أبـتـي أيامه انـدرست لم يبـق للـثـأر من حول وسلطان
فإن ثـأرنا فـفـي بطن السجون لنا زجـر وقـسـوة تـشـغـيـل وسجّـان
وقد يكون جزانا الموت إن تثبت أدلّـة الجرم عـمـداً قـبـل عـدوان
«خـطّار» يـا أبـتـي زالت عقوبته عـشـرون عـامـاً أزالت جرمه القاني
هـذا هـو الـعدل غنّى الحاكمون به مـا بين بـيـد وأمـصـار وركـبـان

(يتهامس الحاضرون، وتعاود الحيوية وجه «خطار» وتزول أمارات الغضب من وجه «عامر». فيدرك ابنه «خالد» ذلك فينتهز الموقف قائلاً):

«خطار» يا أبتي إن شئت تقتله — فافعل وان شئت فارحم شيبه الفاني
بي استجار وقد لبيت جيرته — ولاذ بالمرتجى من عفوك الداني

(ينظر «عامر» إلى «خطار» فيهوله أثر الخوف في وجهه و ينظر إلى شعره الأشيب وشيخوخته الفانية فيتأثر و يرق قلبه ثم لا تلبث تلك الرقة أن تنطلق من لسانه فيقول):

عامر : **عفوت يا ولدي...**

(و يكبّر الجمع ويهلّل فيسرع «خالد» و «خطار» ويجثوان على ركبتي «عامر» شاكرين جميله، حامدين صنيعه. و يربت «عامر» على كتف «خطار» و يساعده على النهوض ثم يرفع يديه ضارعاً إلى رب السماوات والأرض):

ربّاه من على — قلبي بصبر وهب لي كل سلوان

خالد : **حييت يا أبتي...**

عامر : **بوركت يا ولدي**

خطار : **جزاك ربّك عنّي فيض إحسان**

(ثم يلتفت «خطار» إلى «خالد» ودموع الفرح تترقرق في عينيه ومظاهر الشكر بادية على محياه):

خطار : **وأنت يا ولدي أعظم بمكرمة — تبقى مدى الدهر أرعاها وترعاني**

(يقترب «عامر» منه و يعقد له الراية على عادة العرب و يقول له) :

عـــامـــر : لـقـد أصـبـحـت يـا خـطّـار فـيـنـا   عـزيـزاً جـانـبـاً مـنّـا إلـيـنـا
خـــطّـــار : سأشكر ـما حييت ـ لكم جميلاً   أظـل ـمـدى الحـيـاة ـ له أمينا

(يجلسون ، وتدار عليهم القهوة ، وتنحر الذبائح ، ثم يلتفت «خطّار» إلى «عامر» قائلاً وقد هتف به الشوق والحنين إلى ابنته «لِيلِي») :

أتـسـمـح يـا شـيـخ الحـمـى بـذهابي   فـقـد أقـلـقـت أهلي طريق غيابي
وبـنـتـي لا أدري أجـنّـت وراءهـا   فـراقـي وحـال اليأس دون طلابي

(ثم يزفر زفرة حنان وشوق قائلاً) :

ألا ليت أنسام البوادي حملتني إليها ..
خـــالـــد : ستلقاها بخير إياب

(و يبقى «خطّار» في ضيافة العرب ثلاثة أيام وهو عزيز الجانب مكرّماً محترماً كأنه لم يأت أمراً إدّا . وفي اليوم الثالث يهيء نفسه للسفر، و بينما هو ينتظر واسطة النقل إذا بـ «خالد» يدخل عليه قائلاً) :

أبـا لِـيـلِـي أتـقـبـلـني رفـيـقـاً
خـــطّـــار : ألا نـعـم الـرفـيـق ونـعـم منـقـذ

(المشهد العاشر)

(يصل «خطّار» و«خالد» «سوق الغرب» و يأمر الأول السائق بالإسراع في سواقته، وهو يكاد يجن فرحاً إلى جهة داره. ولشد ما كانت دهشته وخيبة أمله عندما شاهد منزله ركاماً تذروه الرياح. تقف السيارة و«خطّار» لا يصدق ما يرى و«خالد» واجم أيضاً. ثم يأمره «خطّار» بأن ينطلق بها مسرعاً إلى أقرب مركز للبوليس فيقف هناك و يدخل إلى مقر ضابط البوليس وقد دفع أكثر من واحد من المراجعين ويخاطب الضابط، و يلحق به «خالد»):

خطّار : **أين لِيلِي؟ وأين داري وملكي؟**

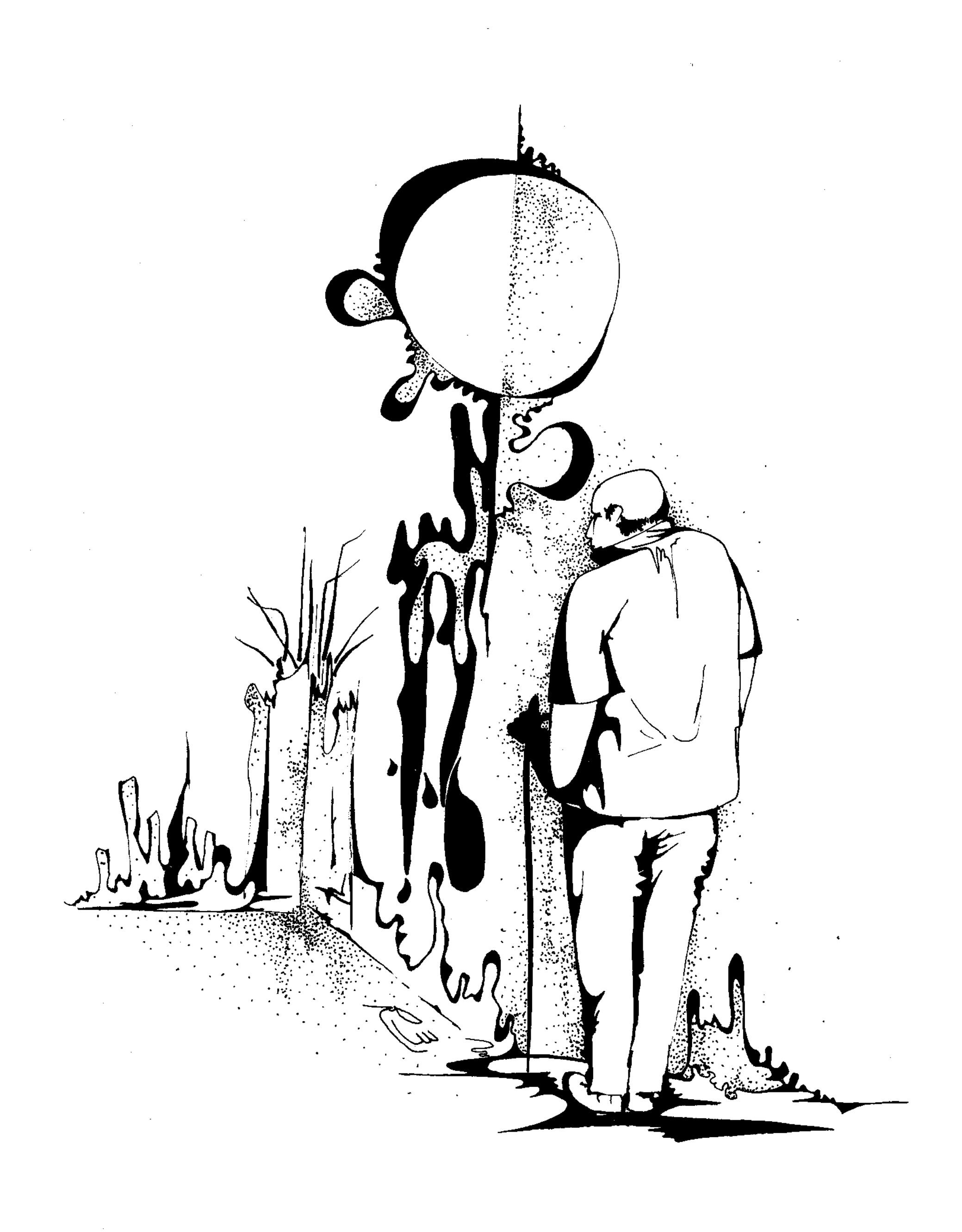
الضابط : **أنت «خطار»؟ أين كنت؟**

(تبدو أمارات الخوف على وجه «خالد» وقد خشي أن يفشي «خطّار» ما أصابه وخاصة بعد هذه النكبة التي حلّت به، وإذا بـ«خطّار» يقول):

خطّار : **أتاجر**

(يرتاح «خالد» من جوابه):

الضابط : **قيل في الخطف كنت أحقاً؟**



(ويمتعض «خطّار» قائلاً) :

إنها فرية اللئيم الغادر

كنت في نجد في تجارة سمن ومواشي...

الضابط : وعدت منها ظافر

(و يقطع «خطّار» حبل حديثه التافه فيقول) :

خطار : أين ليلي ؟

الضابط : لقد بحثنا طويلاً ورجعنا نجرّ ثوب الخاسر

ضل سعيي وسعي غيري ولما ينجل الصبح في سرانا الحائر

خطار : وفؤاد، ألم يفدكم بشيء؟

الضابط : قد طويناه في ظلام المقابر

(يتهاوى «خطار» على أقرب كرسي إذ لم يعد يحتمل الصدمات المتتالية و يقول بصوت متهدج):

خطار : كيف مات الحزين ؟

الضابط : قتلاً وحرقاً

(و ينخرط «خطّار» في البكاء وهويقول) :

خطار : يا لها نكبة تشيب الخاطر

(و يتذكر «لِيلي» و يظن أنها لاقت نفس المصير فيقول) :

« لِـيـلِـي » ترى أين أنت الآن يا لِـيلِي
أأنــت تحــيين أم مــثــواك أخــدود ؟

خـــالـــد : لا تبك «خطّار» واصبر صبر معتصم بـالله...
خــطـــار : كـيـف وقلبي اليوم موؤود ؟

(ويخرج «خطار» من مركز البوليس متكئاً على ذراع «خالد» وقد عم الحزن ضابط البوليس وجنوده و بينما هما سائران يقول له «خالد») :

خـــالـــد : خـل الـبـكـاء وقـم نـبـحـث...
خــطـــار : أمـن أمـل ؟
خـــالـــد : مـن يـدر أنـك يا خـطـار مجدود
أنـسـتـكـين إلى اليأس المريـر..
خــطـــار : أجــل لنترك البحث فالتوفيق مفقود
« لِـسـيـلِـي » قـضـت نحبـهـا حـزنـاً وقـد يئـسـت
مـن عـودتـي وثـوى في اللـحـد أملـود

(ويمسح دموعه وعندما يدخلان السيارة يقول له «خالد») :

خـــالـــد : والآن ما تـنـتوى«خطّار» تفعله؟
خــطـــار : لا شيء «خالد» إن الفكر مكدود
فقدت لـيـلِي ومالي بعدها أمل فـالـعـيش من دونها ذل وتـنـكـيد

(ثم يتوقف عن الكلام وآثار الإعياء بادية على وجهه و يعود ثانية ليقول):

خطار : الموت خير سبيل لي وقد ذهبت ... «ليلي» ومالي فلا أهل ومعدود
خالد : يا أبا ليلي اصطبر ... يفرج الله الكرب
لا البكا يجدي ولا ... دمعه يطفي اللهب
إن «ليلي» لم تمت ... إن قلبي ما كذب
خطار : إنها ماتت...

(ثم يصعد زفرة كادت روحه تصعد معها و يقول) :

أجل، رب هذا ما كتب

(و يلتفت إلى «خالد» و يربت على كتفه قائلاً) :

بني «خالد»: إني جد مكتئب ... فالحزن حطم ما أبقاه لي جلدي
فما جزيت جميلاً أنت فاعله ... ولا يداً رفعت ما أسقطته يدي
اذهب لمصر وتابع في مدارسها ... علماً يضيء سبيل القصد والرشد
أما أنا فسأبقى باكياً أبداً ... حتى تفارق روحي واهن الجسد
خالد : تبقى وحيداً ولا مال ولا ولد ... وليس من سائل عنكم بذا البلد
وكنت في نعمة واليوم مفتقر ... للناس والناس لا ترثي لذي أود
وكان جودك ملء السهل والجبل ... وفيض برك أفياء لمبترد
واليوم لا مال تهديه لذي عوز ... فالدهر خان وما أبقى على أحد
لا أتركنَّك تحيا لا معيل على ... كيد الزمان وفقد الأهل والولد
خطار : بني ما الرأي؟
خالد : رأيي أن تفيء إلى ... أبي وظل أمان وارف ودد

(وتروق الفكرة لخطّار فيقول) :

خـــطـــــــار : **شكراً بنيّ سأمضي...**

(ثم يقبّل خالداً قبلة أبو ية و يقول له) :

الـــوداع إذاً

(و يلتفت إلى ركام داره وربوع بلده و يقول) :

وأنـت يـا مـوطـنـي بـعـداً إلى الأبد

(المشهد الحادي عشر)

(وصلـت الطائرة التي تقل «لِيلي» ومربّيها إلى مطار القاهرة ونزلت هي ومربّيها واسـتـقـلا سـيـارة الـشـركة صاحبة الطائرة إلى مكتب الشركة ومن هناك استأجرا تـاكـسـياً. و بـينما كـان التاكسي منطلقاً بسرعة في أحد المنعطفات إذا هو يصطدم بـسيـارة شحن فينقلب و يقتل السائق ومربّي «لِيلي» التي تنجو بأعجوبة بعدما أصيبت برضوض في كتفها و يديها. وفي أثناء تجمهر الناس حول التاكسي المنقلب نـشـل أحـدهـم حـقـيـبـة «لِيلي» وفيها كل ما تملك من حطام الدنيا، وأخذت «لِـيلِي» إلى الإسعاف فضمدت جراحها وخرجت تهيم على وجهها لا تعرف أين تذهب ولا أين تستقر وكم من مرة كادت تذهب ضحية سيارة أو تراماي. وأخيراً دخـلـت شـارع عماد الدين فبهرتها الأنوار والإعلانات فتلهّت بهذه المناظر قليلاً عن

مصابها وبدأت تفكّر فيما يجب أن تفعل. تذكرت أن لها صوتاً كان الناس يقولون عنه إنه رخيم حنون، وتذكرت أنه لم يبق لها من رأسمال غيره، فقررت أن تشتغل مغنية في أحد الكازينوهات وبينما هي تتفحص (الفاترينات) شاهدت إعلاناً بارزاً لكازينو (الأقمار السبعة) فهرعت إليه وهي تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى. وأخيراً دخلت فوجدت رجلاً تخطّى الأربعين جالساً إلى مكتبه وعليه هيئة الآمر الناهي. فسلمت عليه حين وقفت قبالته. وقد راعه دخول هذا الجمال الطاغي إلى ملهاه الذي يعتبر من الدرجة الثالثة بين ملاهي القاهرة، وتسأله «لِيلِي»):

لِيلِي : **من صاحب الملهى ؟**

صاحب الملهى : **أنا في خدمة الملهى هنا**

ما تأمرين استوضحي؟

لِيلِي : **عمل شريف...**

(ويرى صاحب الملهى صيداً جديداً لا يحلم به ملهاه فيسألها عن اسمها):

صاحب الملهى : **يا ...**

لِيلِي : **« ضحى »**

(وكان هذا اسمها الذي اختارته لنفسها بعد أن هجرت وطنها لبنان وسيكون اسمها هذا فيما يلي بدلاً من «لِيلِي». يقدم لها صاحب الملهى الكرسي الذي بجانبه ويسألها):

صاحب الملهى : **ما تحسنينه « ضحى » ؟**

ضحى : **أحسنت من حظي الغنا**

صاحب الملهى : **من حظنا وسعدنا بأن تكوني بيننا**

هيا بنا.... هيا بنا

(وتستمرىء « ضحى » حياتها الجديدة على مضض وكره ونرى أثراً لألمها مما صارت إليه في بكائها المرعندما تفرغ من عملها وتعود إلى غرفتها).

(المشهد الثاني عشر)

(هرب « فؤاد » والتجأ إلى صديقه « متري » في بيروت وهو خائف يترقب أن يفتضح أمره. وفي ليلة من ليالي الأعياد المسيحية بلبنان، ذهب « متري » إلى الكازينو الذي كانت تشتغل فيه سونيا قبل موتها وهناك التقى بأحد معارفه الأثرياء و يدعى « سمعان » ... و يدعو « سمعان » « متري » إلى مائدة في ركن قصيّ من الكازينو، ويجترّان فيه الماضي. ويحدث اتفاقاً جلوس إحدى أرتيستات الكازينو بجوار مائدتها فيلتفت « سمعان » إلى « متري » قائلا):

سمعان : **انظر إلى هذي الفتاة كأنها « سونيا » مصغرة تميس وتخطر**
هامت بحب فؤاد حتى انها رضيت تموت على يديه وتحشر
ذهبا معاً قربان حب عاصف فعليها رحمات ربّي تنثر

(و يتطلع « متري » إلى الأرتيست، وقد عشيت عيناه من البكاء حين ذكر اسم « سونيا » و يقول):

متري : **وارحمتاه لها:**

(و يعلق سمعان قائلاً):

« متري » لعمرك عفورتي أكبر
سمعان : **وفؤاد يكظم غيظه في صدره و يكاد من آلامها يتفجر**

(ويجيب « متري » من دون وعي) :

متـــــــري : و « فـؤاد » ؟

(يضحـك)

هـا ... هـا للـسـجـون مـصـيـره ولـه بـسـاحتهـا المـكـان الأكبر
تعسـاً لـه لمـا يمـت ...

(وتسترعي « سمعان » هذه العبارة وقد قذف بها « متري » فيستدرجه قائلاً) :

سـمـعـــــان : لمّـا يمـت

متـــــــري : تبـقى الرذيلة والـفـضيـلة تـقبر

(ثم يقترب من سمعان و يسر إليه وهو يترنّح و يتلوّى في كلامه) :

إنـه مختـف ... أتـكتم سـرّي ؟

(ويجيب « سمعان » بخبث ودهاء) :

سـمـعـــــان : في قــرار مــن الأمــان مـكين
أيـن ؟...

متـــــــري : في مـنــزلـي يـقيم عـز يـزاً

سـمـعـــــان : يـا لإخـلاصـك الـقـوي المـتين

(ثم يـغـيّر مجرى الحديث وقد بيت في نفسه أمراً، و يشير إلى «نهى» مغنية الكاز ينو فتأتي و يقول لها):

يـا نهـى:

نهـــــى : (وي شري) [1]

سـمـعـــان : إلـيَّ تعالي نـفـن في لــذة الهـوى والمجـون

نهـــــى : مـا أحـيـلاك مـاجناً وخـليـعاً

سـمـعـــان : مـا أحـيـلاك في مجـال الـفـنـون

(وتجلس «نهى» فيغمزها لتداعب «متري» الذي لا يشعر إلا و«نهى» تميل إليه وتعبث أناملها بشعره فتهتاجه هذه المداعبات، وتفعل «نهى» ما تؤمر و«متري» يستروح بما يفعل و يقول):

قربي يا «نهى» تعالي بجنبي إن شـوقـي يـقـول: هل من مزيد؟

إجعلي شعرك الجميـل غطائي والحـنـان الـفـتـي ملء الزنود

(تـعـنـى بـه «نهى» فيحس بالدفء والراحة فينام وقد غلبه الكرى ويحمله خدم الـكـاز يـنـو إلى سيارة «سمعان» الذي ينطلق مسرعاً به إلى البيت. يدق الجرس فيفتح خادم «متري» الباب):

سـمـعـــان : تعـــال ...

---

(١) كلمتان فرنسيتان معناهما: نعم عز يزي.

(و يسرع الخادم فيرى سيده في السيارة نائماً فيقول) :

الخـــــادم : **هل سيدي ؟..**
سـمعـــان : **في خير عـافيـة نـشـوان ... عـادتـه**
الخـــــادم : (لنفسه) **يـا بـئـسها اعـتـادا**

(يتعاونان على إدخاله، و يسأل « سمعان » الخادم) :

سـمعـــان : **قـل لـي « فـؤاد » هـنـا ؟**

(و يضطرب الخادم ولكنه يتمالك نفسه فيجيب) :

الخـــــادم : **مـا عـنـدنـا أحد بالإسم هـذا ولا « مـتـري » بـه نـادى**
سـمعـــان : **«فؤاد» قاتل سونيا، ليس عندكمْ ؟**

(و يتطلّع « فؤاد » من فرجة الباب فيرى عدوّه « سمعان » و يراه هذا في المرآة. أما الخادم فيقول) :

الخـــــادم : **مـا آوت الـدار يا أستاذ أوغـادا**

(و يدير « سمعان » ظهره و يغادر المكان، فيهرع الخادم إلى «فؤاد» فيبادره هذا قائلاً) :

فـــــؤاد : **سمعت ما قلت: فضل سوف أذكره إنـي وربك لا أنسى لمن جـادا**
«سمعان» سار إلى البوليس يخبره

(و يصرخ الخادم) :

الخـــــادم : اهــرب فــإنهــم آتــون أعـدادا

(ويهرب «فؤاد» إلى أحد معارفه في مكان ناء من لبنان و يأتي «سمعان» ومعه قوة من البوليس فيحاصرون بيت «متري» و يدخلون فيفتشون فلا يجدون أحداً فيأخذون «متري» وخادمه للتحقيق معهما) :

(المشهد الثالث عشر)

(و يعود « خالد » إلى جامعته و يستأنف دراسته بنشاطه المعهود. ويخرج في إحدى الأمسيات مع زميلين له للترويح عن النفس في شوارع القاهرة. فتسترعي انتباههم الإعلانات التي علقها صاحب كازينو «الأقمار السبعة» على جدران شوارع القاهرة، ونشرها بين أيدي الناس بشتى الطرق. و يتفق «خالد» مع زميليه على حضور هذه الحفلة، فيدخلون ويجلسون إلى إحدى المناضد. و يرفع الستار فتدوي القاعة بالتصفيق حين تظهر «ضحى» في أجمل حلّة و يدهش «خالد» ورفيقاه من الجمال الطاغي. وتصدح الموسيقى وتغني «ضحى» المقطوعة التالية التي كانت تقاطع بالهتاف والتصفيق والاستحسان والاستعادة) :

الـغـنـاء : **مـاضـي الـذكـرى إلـيـا ... إن في جـنـبـي شـيـا**

مـنـك يـا ذكـرى
إن تـدرعـت بـصـبـري
ضـاق ذرعـاً مـنـه صـدري

بـالـفـكـر سـارح يـسـري
تـائـهـاً في مـهـمـه قـفـر

واسـع الأرجـاء أعـشـى الأفـق
لـيس يدري ما يعي أو يتقي

فـيـك يـا قـلـبي أنين لا يبين
والهوى العربيد فيه مستكين

مـن جـراح الـقـدر
مـن دمـوع الـسـهـر — مـنـك يـا ذكـرى
وسـرى مـا قـد سـرى
ان قـلـبـي انـتـحـرا

انـني أقـصـيت عن دنيا: الندامى، والهيامى، وعشيات المجون
إنمـا دنـيـاي لهـو ومجـون — ولـيـال ولـيـالـي وفـتـون
عـربـد الليـل ولليـل جـنـون — فاسقنيها قـبـلات وشؤون

مـتـرعـات بلـذاذات الـوصـال
ردد الـلـيـل صـداهـا
كـلـل الـفـجـر نـداهـا
بـأزاهير الأمـانـي والجـمـال

رنـح الليـل سـهـاد الأمـل — ورتـيـب مـن بـكـاء وأنين
واسـتـبـتـه تـمـتـمات القـبـل — وهـي نـشوى في شفاه العاشقين
فـيـك يـا لـيـل سـرور وحـبـور
فـيـكَ يـا لـيـل سـفـور للبدور — فـيـك نجـوى وحـنين
بزغ الفجر وليلي انسحبا: مغضبا
وطيور الروض تشدو مرحباً مرحبا — بالضيا، بالبشر في هذا الصباح
وزهـور الحـقـل يـعـلوها البهاء
واخـضـرار نـاضر فـيـه رواء — وأريـج مـن لـيـاليها الملاح
يـا رسـيـس الحـب ذكـرى — أمـل لاقـى المـنـونـا

صنته العمر بقلبي وتحملت الظنونا
وليال بت أشكوها غرامي خلت لليل سماعاً وعيوناً وجنانا
من سميري في ليالي اليباب
من لقلبي من أفانين العذاب
إن للوجد به زمزمة
وأمانيه سراب في سراب
عندما يقسو بعادي
من تباريح سهادي
عندما يفنى اصطباري
وابتهالي وادكاري
يهتف القلب ويصبو للحبيب
أنت يا ذكرى حميا ليلتي أنت تدنين بعيدي والقريب

(وتنتهي «ضحى» من غنائها فيقابلها النظارة بعاصفة من تصفيق الاستحسان والإعجاب. وكان يجلس إلى مائدة بجوار مائدة «خالد» اثنان من أثرياء العرب هما «رؤوف» و«جمال» وقد حفلت مائدتها بما لذ وطاب من أكل وشراب. وكان «رؤوف» هذا يتابع غناء «ضحى» بعين ملتهبة شبقاً. وصاحبنا هذا —على ما يبدو— صديق حميم لصاحب الكاز ينو الذي نراه يتفقده بين آونة وأخرى بنفسه أو بخدمه. ولما انتهت «ضحى» من غنائها استدعى رؤوف صاحب الملهى وأسرّ إليه بشيء ذهب على إثره وعاد ومعه «ضحى». ولما أبصرا بها قادمة عن بعد قال «رؤوف» لصاحبه):

رؤوف : أقبلت كالريح
جمال : كالشفق الضاحك
رؤوف : كالبدر
جمال : كانبلاج الصباح
رؤوف : تتهادى وللدلال فتون
جمال : كفتون السرور في الأفراح

(و يقدم صاحب الملهى «ضحى» إليها و يذهب لشأنه وتجلس بينهما و يبتدرها رؤوف قائلاً):

رؤوف : أهلاً وسهلاً يا ضحى

جمال : يا مرحباً: يا مرحبا

ضحى : شكراً على ما قلتما

رؤوف : العفو يا زهر الرّبى

ما تشربين يا «ضحى»

ضحى : (بيبسي)

(يملأ قدحها وقدح زميله وقدحه طبعاً و يناولها كأسها قائلاً):

رؤوف : اشربي فيه الهنا

(ويجرع كل منها ما أمامه، وفي أثناء انشغال «رؤوف» وزميله وتزو يد المائدة بأشهى المأكولات، تنظر «ضحى» حولها فتلتقي عيناها بعيني «خالد» الذي كان يراقبها و يتتبع حركاتها فتسمرت عيناها وتسمرت عيناه هو كأنما «كيو بيد» قد عقد حباً جارفاً بين العينين، ويختلس كل منها النظرة من الآخر في غفلة الرقباء. أما «رؤوف» وصاحبه فقد أفرطا في الأكل والشرب و«ضحى» مشغولة باختلاس النظرات من «خالد» وهو كذلك. ولما بلغ الهيام بـ«رؤوف» أشده مال على «ضحى» يحاول تقبيلها فصفعته ودفعته فوقع وكرسيه أرضاً ونهضت فصفعها زميله صفعة أليمة وقعت من جرائها على الكرسي باكية. فاستفز هذا العمل المستهجن خالداً فانقض على «جمال» ولكمه لكمة وقع على إثرها أرضاً ونهض «رؤوف» لمساعدته فلكمه «خالد» لكمة قوية انبثق على إثرها الدم من وجهه. فأسرع صاحب الكازينو وجرسوناته للقبض على «خالد» فهب زميلاه لمساعدته ودارت معركة طوح فيها «خالد» وزميلاه بالجميع أرضاً. ثم أخذوا «ضحى»

وخرجوا من الصالة وركبوا أول سيارة صادفتهم وعندما وصلوا إلى دار «ضحى» قالت لهم):

ضـحـــى : هنـا داري ... قفـوا ...

(و يقفون وتنزل «ضحى» من السيارة و ينزلون لتوديعها فتقول لهم) :

شـكـرا جـزيـلا على ما قمتمُ نحوي العشيه
خـالـد : لـقـد قـنـا بـواجـبـنـا وانـا بأمرك كلنـا أبداً حميـه

(وتودعهم «ضحى» وتدخل إلى بيتها. و ينصرف «خالد» مع زميليه. لم تتمكن «ضحى» من النوم تلك الليلة، تراها تتقلب في فراشها وتقوم منه أحياناً وتطل من الشرفة حتى تنفس الصباح فنامت نوماً عميقاً من شدة السهر. ومثل هذا القلق ساور خالداً فلم ينم ليلته تلك):

(المشهد الرابع عشر)

(نرى «متري» وخادمه أمام ضابط البوليس وهو يعنف «متري» قائلاً):

الـضـابـط : أتؤوي قـاتـلاً نـذلا ؟

(ويجيبه «متري» ببرود) :



متري : ولِمْ لا ؟ لقد آويت يا (مسيو) خليلاً
سفحنا العمر آثاماً وفجرا وسحنا في مباذلنا طويلاً
فلم نترك مناهل لم نردها سل البيسين و«الليدو» و«لي لا»

(و ينفعل الضابط من جوابه فيصرخ) :

الضابط : خذوا هذا اللعين غداً سيلقى بساحات القضاء جزا وبيلا

(يقودونه وخادمه إلى السجن وتنشر دوائر الأمن صورة «فؤاد» في الجرائد وجائزة لمن يقبض عليه أو يرشد إليه)

* * * *

(المشهد الخامس عشر)

(آذنت الشمس بالمغيب فيودع «خالد» أوراقه وكتبه خزانتها و يصلح هندامه و يذهب إلى دار «ضحى» و يدق الجرس فتفتحه هي نفسها وتنفرج ثناياها عن ابتسامة لها معناها) :

خالد : مساء الخير
ضحى : أهلاً

(يدخلان ويجلسان في غرفة الاستقبال) :

خالد : كيف حالك
ضحى : بخير، كيف أنت ؟
خالد : أنا كذلك
ضحى : لساني كله حمد وشكر — فلولا أنت كنت من الهوالك
خالد : عملت بما قضت آداب قومي — فصنت الخلق من زلق المسالك
ضحى : وناصرت الضعيف على قويّ
خالد : بعزم مستمد من فعالك
ضحى : وذللت الصعاب بفضل خلق
خالد : وإيمان تزود من خصالك

(ثم يغير «خالد» مجرى الحديث فيسألها) :

ضحى : ما جد بعد ذهابي أمس أبلغني — أمين سر (الكازينو) الفصل عن عملي
خالد : ما الرأي ؟
ضحى : ذلك ما أبغيه منك وقد — عز الصديق فلا عون سوى أملي
خالد : إني صديقك والأيام شاهدة — عليّ فاعتمدي والله متّكلي
فالمال عندي موفور أقدمه — والقلب رهن يديك فاطلبي تنل
أقولها وأنا لا أرتجي ثمناً — إلا رضاك فلا تأسي ولا تسل
ولتعلمي أنني من معشر جبلوا — على الوفاء وحفظ العهد والمثل

(وتفتن «ضحى» بمنطقه وعواطفه السامية وتعبيره المخلص فتجيبه) :

ضحى : يا صديق ـأقولها وأفاخر ـ ما نسيت الجميل قدماً وحاضر
سوف أرعى ودادك الحر عمري بيد المخلص الأمين الشاكر
عطفك الوارف الظلال عزائي ومعيني على الزمان الجائر

(ثم تعتدل في جلستها وتتكلم بجد وتأثر) :

أنت ما زلت طالباً يا صديقي فإذا ما اشتغلت بي شغلت الخاطر
وتنكبت عن سواء سبيل وتعثرت في سراك الحائر
أمل جئت مصر تسعى إليه منعماً ممعناً مجداً مثابر
فإذا ما انصرفت عنه لحبي فلقد أبت بالمصير الخاسر
يا صديقي : وحق ودي يقضي لمن اخترته صديقاً وناصر

(وتغرورق عيناها بالدموع وهي تقول) :

عد إلى عشك الجميل ودعني في همومي وما قضته المقادر

(و يتأثر «خالد» من كلامها فينهض و يقول متحمساً) :

خالد : قسماً بالذي يميت ويحيي وعن يعلم النهى والسرائر
ما تخليت عن هواك وإني صادق القول في الخفا والظاهر
إنما حبي البريء ضياء في دجى عشي الجميل الساحر
ضحى : لست أدري بأي لفظ ومعنى أجزل الشكر للصديق الثائر

(ثم تمد يدها إليه ويمد هو يده إليها و يتصافحان وهي تقول) :

جمع الله بيننا يا صديقي أنت مني

خالد : وأنت نعمة قادر

امنحيني الذهاب

ضحى : أين ؟

خالد : لعشي

ضحى : بارك الله في صديقي المثابر

(وتلتقي عيناهما فلا يملكان الصبر فينظر إليها نظرة تفيض بالحب والعطف و ينصرف والدنيا لا تسعه . أما هي وقد هزتها النظرة وأثارت كامن عواطفها ، فتخطو في صالونها — ذهاباً وإياباً — والفرح يرنح عطفيها ثم تذهب إلى باب الشرفة فتفتحه وتخرج ، وقد هوم الليل ، وصفا الجو، وتألقت النجوم في سمائها ، وداعب النسيم أغصان الأشجار فإذا رعشة النجوم ، وتأود الغصون ، وحفيف الورق، أنغام تهز أوتار القلوب ، وإذا «ضحى» تتجاوب معها فتغني) :

الغناء :

حدثي الكون عن هواي الجديد يا ليالي وباركي لي وليدي
واضفر الزهر يا نسيم عقوداً للحبيب الجميل كل الورود
واشهدي يا نجوم نجوى غرامي وادّكاري على ترنم عودي
والأضاحي وأمسيات عذارى ضمختها المنى بعطر الوعود
غردي يا طيور ألحان حبي في أعالي الغصون فوق النجود
ولد الحب يا دُنَا فاسمعيني رائعَ اللحن عبقريَّ القصيد
والبسي السندس القشيب وتيهي يا ربى مصر يا جنان الخلود
إن في نيلك السعيد الأماني وعلى ضفتيه مجد الجدود
يا بلاداً هجرت داري وقومي في هواها وقيت عين الحسود

(ثم تدخل وتجلس على أحد المقاعد ساهمة واجمة وإذا بها تنتصب وتقول):

يـا قـلـب أتعبـك الهـوى فـرضـت واسـتـعـصـى الـدوا
أنـسـيـت عـهـداً قـد قـطـعـت بـأن تـصـوم عـن الهـوى
أبـتـي وحـقـك مـا نـسـيـت ولـن يـروعـنـي الجـوى
حـتـى أرى أبـتـي على قـيـد الحـيـاة أم انـطـوى

(وتتساقط الدموع على خدها حين تذكر أباها وتقول) :

يـا خـالـد اعـذرنـي ولا تحـزن إذا اشـتـط النـوى
قـدر يـنـفـذ مـا الالـه يـشـاء فـلـنـصبر سـوى

(المشهد السادس عشر)

(نرى فؤاداً في مخبئه الجديد مطرقاً ساهماً يفكر في أمره، و بينما هو كذلك يدخل عليه «هاني» صديقه وصاحب المخبأ، و بيده رزمة من الجرائد والمجلات فيرمي بها إليه ويجلس على أحد المقاعد ينفث دخان سيجارته. يقلب «فؤاد» الصفحات فيرى صورته وبجانبها مقدار الجائزة لمن يقبض عليه أو يرشد إليه فيمتقع لونه و يلطم خده وهو يقول لصديقه):

فـؤاد : مـا الـرأي عـنـدك ؟
هـانـي : رأيـي أن تـفـر إلى مـفـاوز الـشـام أو صـحـراء عـمـان
فـؤاد : لا أستطيـع ...
هـانـي : ولِمْ لا ؟
فـؤاد : إن بينهمُ

(و يقاطعه « هاني » قائلاً) :

هـــــانـــي : صـك اتـفـاق لتسليم الجنـاة ؟ ـبين الـبلادين هـذين ولبـنـان ـ

فـــــــؤاد : أجـــل

هـــــانـــي : لـيت اتـفـاقـهـم تـوحـيد أوطـان ومصر مثلهـمُ ؟

فـــــــؤاد : كـــلا ...

هـــــانـــي : إذن فإلـــى مـهـد الـكـنـانـة دار الـعز والـشان

(المشهد السّابع عشر)

(نـرى « ضـحـى » ومـعها حقيبتا سفر يحملها بواب العمارة و يضعها في صندوق تاكسي وقبل دخول السيارة تخاطب البواب بعد أن نقدته) :

ضـحـــــى : «عثمان» لا تنس الحراسة والعنايه

عـثـمـــــان : إني سأفعل ما أمرت

(وعندما تتحرك السيارة وتلوح له بيدها يقول) :

مـع الســـلامـه

(المشهد الثامن عشر)

(نرى خطاراً جالساً في مضربه ساهماً واجماً يتقلب في مقعده وأمامه كلب يحرك ذنبه كلمابدرت حركة من «خطار») :

(المشهد التاسع عشر)

(نرى خالداً في طريقه إلى بيت «ضحى» وقد تجمل بأحسن ملابسه وعندما ينزل من التاكسي يلقاه البواب فيسأله «خالد») :

خالد : أ «ضحى» بشقتها هنا ؟

عثمان : كلا ... لقد رحلت «ضحى»

(يبدو الاستغراب على وجه «خالد» فيقول) :

خالد : رحلت إلى أي الجهات ؟ ألم تقل لك ؟

عثمان : لي ... أنا

أبداً سوى أن أعتني بالبيت إن لزم اعتنا

(و ينصرف «خالد» هائماً على وجهه في شوارع القاهرة يجوبها وهو يفكر حتى وصل

«ميدان التحرير» فيلتقي هناك بأحد زملائه فيثوب إلى رشده و ياخذان الأتوبيس إلى حيث يسكنان).

(المشهد العشرون)

(نرى «ضحى» في دار إحدى صديقاتها وهما يتجاذبان أطراف الحديث عن «خالد» طبعاً):

الصديقة : **قسوت لعمري**

ضحى : **بل ظلمت مخلصي وجرت على حبي، ودست على قلبي**

وأدت هوى لما تر النور عينه فيا لعظيم الجرم

(ثم ترفع كفيها ضارعة) :

عفوك يا ربي

(المشهد الواحد والعشرون)

(و يقضي «خالد» ليلة ساهدة، كلما هم بالقراءة مل قبل البدء وهكذا نراه في غرفته لا يستقر على حال، فمرة يجلس، وتارة يقوم وأحياناً يخرج إلى الشرفة، و يظل على هذه الحال حتى بعد منتصف الليل إذ يسمع غناء عن بعد فيرمي بجسده على أحد المقاعد في الشرفة وقد استهواه الكلام واللحن):

الـغـنـــاء : سهد الشاكي وأضناه السهر ومضى الليل وأنضته الفكر
من أمان ثاكلات ورؤى باكيات ومعاني وصور
ولول البرح فسحت عبرة هي ذكرى إن في الذكرى عبر
ولقد تبكي وما يجدي البكا ولقد تشقى وما يغني الضجر
أيها الساهم في أفق الهوى حسبك الشكوى إلى قلب حجر
يا حبيبي شاب دمعي وشكا حاضري المكلوم للماضي الأغر
من حنين وأنين ونوى وجوى جرعني منه الأمر
فإذا الدنيا ظلام دامس تتوارى في دياجيه الذكر
وإذا الماضي وما في سره حلم قعد مر في نوم القدر

(يقوم «خالد» بعد انتهاء الغناء وقد وجد فيه بعض العزاء) :

* * * *

(المشهد الثاني والعشرون)

(نرى فؤاداً وقد أصبح اسمه هارون على ظهر جمل في صحراء مصر ومعه دليله يركبانَ الليل في طريقها إلى القاهرة و يسيران في حذر خشية عيون الرقباء من جنود الصحراء. وعندما يصلان مشارف القاهرة يجد «هارون» سيارة في انتظاره فيسلمه الدليل إلى سائقها فيذهب به):

(المشهد الثالث والعشرون)

(ترى صديقة «ضحى» تقول ـ وهي داخلة شقتها متهللة ـ «وضحى» في استقبالها):

الصديقة :	**أبشري يا ضحى...**
ضحى :	**بماذا ؟**
الصديقة :	**بشغل**
ضحى :	**أين ؟..**
الصديقة :	**في مسرح الخلود العظيم**

إن أصحابه لطاف كرام وهم بانتظارك الآن قومي

(تقبلها «ضحى» وتدخل لترتدي أحسن ملابسها لتذهب بصحبتها إلى المسرح المذكور):

(المشهد الرابع والعشرون)

(لم يكن بالهيّن على « هارون» أن يجد عملاً شريفاً فحاقه اليأس وأخيراً التجأ إلى بيع المخدرات والتف عليه أمثاله وقرناؤه من مدمني هذه السموم ومن اللصوص والمجرمين الخطرين الذين تتعقبهم العدالة. نراه مع هذه البطانة السيئة في «غرزة» من غرز القاهرة، فهذا يدخن الحشيش وذلك يشرب « البوزة» وآخرون يناموت من كثرة التدخين والشرب).



(المشهد الخامس والعشرون)

(وأعلنت الإذاعة المصرية عن أولى حفلات «ضحى» من «مسرح الخلود» فتهافت الناس على شراء التذاكر حتى نفدت، واكتفى من لم يجدوا تذاكر، بالجلوس إلى المذياع وهوينقل إليهم صوت «ضحى»، وسمع «خالد» الإعلان من الإذاعة وقرأه في أمهات الصحف المصرية فاشترى من السوق السوداء تذكرة بضعفي ثمنها الأساسي، وفي الليلة المحددة غصت صالة المسرح وشرفاته بالنظارة وفي مقدمتهم «خالد»، ورفع الستار، وبدت «ضحى» في أجمل حلة، وأحسن منظر. وصدحت الموسيقى وانطلقت «ضحى» تغني القطعة التالية بصوت ملائكي ساحر كان يقابل و يقاطع بتصفيق الاستحسان والإعجاب).

الغناء :

غمرت ليلي الجميل طيوف ... من نحيب يلوح إثر نحيب
وهموم تمر صرعى هموم ... ووجيب يجيء بعد وجيب
اترع الكأس من دنان عذابي ... واغني على أنين رتيب
أمل ضاع في مجاهل أمسي ... وهوى شاب قبل يوم مشيبي
شيع الليل ساهداً يا فؤادي ... وصل الصبح بالضحى بالغروب
شاكياً باكياً غراماً قديماً ... والتياعاً يجد في التعذيب
طوح اليأس بالأماني وولت ... أمسيات الهنا وضلت دروبي
واعترتني من البعاد ظنون ... وظنون الحب سر الشحوب
أيها البدريا نجي الهيامى ... ضاق صدري من البعاد المريب
يزحم الشك خاطري وجناني ... فأنا منه في عذاب رهيب
كلما زحزح اصطباري هموماً ... قد أناخت على فؤادي الكئيب

داهمـتـه أشـد منهـا بـلاء يا لقلب مـعـذب مـكـروب
هـجع الليـل في فـراش الـصبـاح وعلى لحـن صـادحـات طـروب
ومـشـى الـفـجـر في مـطـارف تـيـه ووشـاح مـن الـزهـور قـشـيـب
يـوقـظ الـفـتـنـة الـنـؤوم ويـزجـي نـفـحـات من الأريج الـرطـيـب
فـيـه وحـي الهـوى وحـلـم العذارى والهـيـامـى وتـمـتـمـات الحـبـيـب

(وتبصر فجأة خالداً بين المتفرجين فيفتر ثغرها و يتورد محياها، ثم تندفع مغنية بشوق وحرارة):

صـفـق الـقـلـب حين آب حـبـيـبي بـعـد بـرح الهـوى وطـول المغـيـب
قـلـت مـن فـرحـة تـشـيـع بـنـفـسي لـيـت مـا كـان لم يـكـن يـا حـبـيـبي

(المشهد السادس والعشرون)

(وكـان « هارون» وشلته في أحد المقاهي يستمعون إلى صوت « ضحى» الذي ما كـاد يـسمعه « هارون» حتى تذكر أنه يشبه صوت « لِيلي» بنت عمه، بيد أنه استبـعـد وجـودهـا في مصر، و يـصـفق من في المقهى —وقد انتهت « ضحى» من غنائها، و يقوم صاحب المقهى من فرط إعجابه— ويخرج صورة « ضحى» و يقبّلها و يـعـلـقـهـا في صـدر الـقـهوة و يتهافت الجالسون على رؤ ية صورة المطربة الجديدة، ومنهـم —طبـعـاً— « هـارون» الذي كتم دهشة فرح في نفسه وعاد إلى مقعده وقد بيّت في نفسه أمراً):

(المشهد السابع والعشرون)

(نرى «ضحى» وخالداً في الصالون يتحادثان و«خالد» يقول):

خـــــالــد : كـان قـلـبي مجاهلاً وصحاري / وسـدوداً مـغـلـقـات الـسـدود
فـإذا حـبـك المظـفـر يـغـزو / ويـدك الحـدود تـلـو الحدود
وإذا تـلـكـم الـقـفـار رياض / نـاضـرات بـكـل زهـر نـضيد
وإذا حــبــك المجـنـح آي / بـيّـنـات على هـواي الـعـتـيـد

(يدنو منها وتدنو منه فيقول وهو يتأمل وجهها) :

أنت ما أنت أنت وحي قصيد / رائـع الجرس عبقري النـشيد
أنـت مـا أنت أنت نبع ضياء / قد هداني إلى الصراط الحميد
أنـت تـرنـيـمـة الـزمـان ولحن / مـن معـانيه صيغ لحن الخلود

(تضع رأسها على كتفه فيعبث بشعرها و يقول) :

خـــــالــد : يا ربيع الحياة يا أملي العائد / يـا طـارفـي -أجـل- وتـلـيـدي
شعشعي ليلي اليباب سناء / وانشري البشر في مداه البعيد
واغـمـريني بواطف من أمان / يـانـعـات بـعـطـفـك المـمـدود
لـسـت أدري أللبعـاد مصيري / أم أنـا قـرب شاطئي الموعود

(تتلفت إليه وتمد يدها إلى عنقه و يفنيان في عالم من الحب والقبلات) :

(المشهد الثامن والعشرون)

(لم ينم « هـارون» وهويفكرفي «ضحى» التي تشبه ابنة عمه «لِيلي» لعلها هي أو لعـلهـا شبيهتها ، على كـل حـال يجب أن يراها . وفي الصباح الباكر يخرج من مسكنه و يبتدىء يسأل عن دار «ضحى» مطربة الوادي . و بعد ساعات من سؤال النـاس استـدل عـليـه فقرع الجرس فخرج الفرّاش سائلاً بتهكّم حينما رأى القادم من الطبقة الدنيا) :

الـفـــراش : **من أنت يا «سيدي» ؟**

(و يناوله « هارون» بطاقته قائلاً في استعلاء) :

هـــارون : **أنـا «فـؤاد» ابـن عـمـهـا**

(و يرى الفرّاش في لهجته شبهاً من لهجة سيدته اللبنانية فيقول:

الـفـــراش : **اصبر قـلـيـلاً هـاهـنـا**

(و ينطلق إلى سيدته فتبادر بسؤاله) :

ضـحـى : **هـل مـن جـديـد عـنـدنـا ؟**

الفـــــراش : (يناولها البطاقة فتقرأها وتتغير ملامحها ثم لا تلبث أن يزايلها اضطرابها فتقول) :

ضحـــــى : « فـــؤاد » جـــاءنــــا !!
أدخـــلــه في صـــالـــونــــا

(يذهب الفرّاش وتصلح «ضحى» من حالها وتنزل إلى الصالون فتجد فؤاداً بانتظارها . يسرع حين يراها قائلاً) :

هـــــارون : «لِيلِي» لكم أنا مسرور وقد جمعت عناية الله عقداً كان منثوراً
ضحـــــى : الحمـد لله...

(وتتذكر أباها حين رأته فتقول بألم) :

يـا لـيـت الـزمـان لـنـا يصـفـو وتجبر ياربّاه مكسورا

(و يظن « هارون» حين تألمت «ضحى» أنها فقدت أباها فيقول) :

هـــــارون : عمّـــي...

(وتقاطعه «ضحى» بلهفة) :

ضحـــــى : أعـنـدك مـن مجـهـولـه خبر ؟

(و ير يد « هارون» أن يكحل الأمر فيعميه بقوله) :

هـــــارون : كلا، لقد عاد من أرسلت مدحورا

(تتهاوى على مقعدها وتنشد قائلة) :

ضحى : «خطّار» أين ترى يا رب «خطّار» حي، ترى،أم طوته اليوم أحجار؟
خلفت «ليلي» تقاسي الحزن أعظمه والبين أوجعه والحزن قهّار
أأنت مثلي تعاني ما أكابده؟ أهائم أنت لا مال ولا دار
يعضك الجوع والذل المرير ولا أهل لديك ولا عون ولا جار
تذوب شوقاً إلى «ليلي» ويقتلها شوق إليك ودمع ثم مدرار

(وتمسح دموعها ثم تلتفت إلى «هارون» قائلة) :

أشاعوا عنك أنك مت حرقاً

(ويريد «هارون» أن يسري عنها فيجيب) :

هارون : براميل الشقا تبقى سليمة
فأصحاب الفضيلة ذاهبونا وأصحاب الرذيلة خالدونا

(تبتسم « ضحى ») :

(المشهد التاسع والعشرون)

(نرى خطاراً في مضرب الشيخ «عامر» جالساً بجانبه والسيجارة في يده يدخنها ويتأمل دخانها الصاعد، ثم يلتفت إلى «عامر» الذي كان مشغولاً بقراءة رسالته التي جاءته من «خالد» فيسأله «خطار») :

خطار : خير أتى من «خالد» الماجد ابن الماجد
المجد فيه كله من طارف أو تالد
عن «عامر» شيخ الحمى أعظم به من والد

(و يتنحنح «عامر» و يسرع في قراءة رسالة ابنه على الجميع) :

عامر : من «خالد» إليكم السلام

(ويجيب الجميع بصوت واحد) :

الجميع : منّا له السلام والإكرام
عامر : يقول «خالد» إن الفحص قد بدأت ساعاته وهو يرجونا الدعاء له

(و يرفع بصره عن الرسالة و يقول للجميع) :

ادعوا له يا قوم بالنجاح والفوز والتوفيق والفلاح

(و ينبري عالم العشيرة فيبسط كفيه و يقول والجميع يرددون) :

العالم : يا ربنا حقق له النجاحا والفوز والتوفيق والفلاحا
وفقه يا رحمن يا رحيم واسعده يا حنان يا كريم

(و يستمر «عامر» في قراءته) :

عامر : ويطلبن حضوري في تخرجه محاميا
أحد الحاضرين : يخلب الألباب منطقه
ثان من الحاضرين: أتذهبن ؟
عامر : نعم ، إني لمرتقب بشارة منه إن الفوز حالفه

(و يستمر في قراءته مخاطباً «خطّاراً») :

عـــامــــــر : بـولـيـس مصر مجـدّ في تـعـقـبـه أخـبـار «لِيـلِي» و يرجو أن نزوده برسم «لِيلِي»...

خـــطّـــــار : وأنّـــى لـــي بـــصــــورتهـــا يـا لـيـت للقـلـب منهـا مـا يسـليـه

عـــامـــر : ســتـذهـن مـعـي «خـطّـار»...

خـــطّـــار : يـا فرحـــي بـرؤيـة الـشبـل عين الله تحـمـيـه

(المشهد الثلاثون)

(نـرى «ضـحـى» وهـارون يـتمشيان في بهو الصالون وهي تر يه الصور المعلقة على الجدران. تسترعي إحداها نظر « هارون» فيسألها مشيراً إلى الصورة) :

هـــــارون : مـــن ذا الــذي صــافــحــتــه بــالــقــرب مـــن ســيــارتــك

ضــحـــى : ألم يـــرقـــك شـــكـــلـــه

هـــــارون : كـــأنــــه في صــــورتــــك

(وتـريـد «ضـحـى» أن تـضـع حـداً لـسؤالـه خـشـيـة نـبـشـه المـاضـي فتقول) :

ضــحـــى : خطيبـــي...

(و يصعق « هارون» ولكنه يتجلد و يظهر الفرح قائلاً) :

هـــــارون : ألـــف مـــبـــروك عـــلـــيـــك لـقـد جـلـيـت في حـسـن اختيارك

(و يروع «ضحى» جوابه فتسأله) :

ضـــحـــــى : أتعني ما تقـول ؟

هـــــــارون : أجـل وربـي لـك السعد العظيم على قرارك

ضـــحـــــى : بـودي لوتـراه

(و يظهر «هارون» فرحه قائلاً) :

هـــــــارون : متى ؟ وأنّى ؟

ضـــحـــــى : مـسـاء غد كلانا في انتظارك

هنـــا ..

هـــــــارون : ليــلاً ..

ضـــحـــــى : أجــل ..

هـــــــارون : شكـراً سآتـي

(ثم تسر إليه وهي تضحك فيقهقه قائلاً) :

عـظـيـماً دائماً وحي ابتكارك

(تـنظر «ضحى» إلى ملابسه الرثة فتأخذها الشفقة فتسرع إلى مخدعها وتأخذ صرة نقود منها وتعود إليه وتعطيه إياها قائلة والخجل يكاد يعقد لسانها):

ضـــحـــــى : هـــذه مـــنـــي إلـــيـــكـــا فـاقـض حـاجـات لـديكا

كـلـما عـانـيـت سـلـنـي يـابـن عـمـي لا عـلـيـكـا

هـــــــارون : ألـف شكـــر...

ضـــحـــــى : لا تقلهـــا إن مـا عـنـدي إلـيـكـا

(يذهـــب)

(المشهد الواحد والثلاثون)

(و ينطلق « هارون» إلى أقرب مكان لبيع الملابس فيشتري بدلة فخمة وحذاء وما يتبع ذلك ثم يستأجر تاكسياً يوصله إلى مركز رفاقه الذين حينما يرونه تأخذهم الدهشة فتنعقد ألسنتهم ثم لا يلبث كبيرهم أن ينطلق لسانه قائلاً):

الأول : ما هذا؟ -قل لي- ما هذا؟ بالعز تمنطق عطفاكا

(ويمسكه ثانيهم من البدلة قائلاً بتهكم) :

الثاني : والخلعة هذي أنعمها خاقان العصر وولاكا
الثالث : تختال وجيبك منتفخ والتيه يواكب ممشاكا
الرابع : أعثرت بكنز أم فتحت أبواب الرزق بمرآكا؟
الأول : أم أن الدهر صفا ووفا والحظ تبسم بلقاك؟

(يخرج « هارون» رزمة من الجنيهات فيصرخ الجميع) :

الجميع : يا ليل أبيك ..
هارون : ولِمْ هذا ؟
الجميع : أسرقت البنك؟

(و يتصنع الجد ليزيد في استغرابهم فيقول) :

هارون : أجل ذاكا

(ثم يضحك ملء شدقيه فيغضبون و يقول أحدهم) :

الأول : «هارون»: نسيت سرى عهد بالفقر يصفق جيباكا
الثاني : تطوى أحشاؤك من سغب
الثالث : والليل يضج بشكواكا

(و يرى « هارون» أن صبرهم بلغ حده فيقول) :

هارون : هلموا يا رفاق إلى الطعام هلموا يا صحاب إلى المدام
فقد بسم الزمان لنا فهيا نودع ههنا دنيا الظلام

(المشهد الثاني والثلاثون)

(و يبتاعون ملابس جديدة و يصلحون من هندامهم، و يذهبون إلى أحد الملاهي ويجلسون إلى مائدة في ركن قصي منه وأمامهم ما لذ وطاب من أكل وشراب.
ويقول الأول ويتبعه الجميع):

الأول : لننشد لحن «هارون»...

(يفرغون أقداحهم ويملأونها ثانية فيقول « هارون») :

هارون : لننشد على ذكر الهوى..

(يرفعون عقيرتهم و يصرخ ثانيهم وقد رأى سر باً من الحسان) :

الثاني : الله أكبر
جمال ما رأيت له مثيلاً...

(و يشير إلى إحداهن ، و يشير ثالثهم إلى ثانية قائلاً) :

الثالث : وقدٌ

(يشير رابعهم إلى أخرى قائلاً) :

الرابع : إن تثنت كاد يُكسر

(و يتلمظ شفتيه بشكل يجلب أنظار الفتيات فيتضاحكن و يتغامزن وقد وجدن صيداً سميناً ، يدعوهن « هارون» فيقبلن ، و يأخذ كل فتاته ، ثم يستدعي « هارون» الجرسون و يسر إليه فيذهب و يعود بصحاف جديدة مليئة بأشهى الطعام والشراب ، ثم يلتفت إلى رفاقه وقد رنحته النشوة فيقول) :

ضل في مهمه الحياة مسيري ... منعماً ممعناً عظيماً مرامي
متلفاً في مراتع اللهو عمري ... لذة العيش مطلبي واهتمامي

(ثم يخاطب فتاته وقد أحاطها بذراعه) :

ظلليني بوارف من غرامي ... أسعديني بلمسة من هيامي
ألصقي صدرك الحنون بصدري ... تطفيء لوعة به من ضرامي
زمّليني بشعرك الأشقر النامي ... وبالعطف هدهدي لي منامي
في ظلال من الرؤى مرحات ... في نعيم من الهوى والغرام
إنما العمر غفوة يا حياتي ... بين ورد اللمى ونيل المرام

(ينظر إليها طويلاً و يقبل كل من رفاقه على من بجواره و يقول أولهم مفاخرا):

الأول : ضل في حمأة الحياة شبابي ... واستطابت سّرى الضلال ركابي
ولبست المجون برداً قشيباً ... وركبت الصعاب فوق الصعاب
من خدود الملاح كانت ورودي ... من رضاب الشفاه كان شرابي

(و يتبجح ثانيهم فيقول) :

الثاني : والليالي وما أحيلاك فيها ... إذ تميسين في الحلى والثياب
وعلينا من السرور طيوف ... لعبت فيه بالنهى واللباب

(أما ثالثهم — وكان أكبرهم سنا — فيقول متحسراً) :

الثالث : مر في خاطر الزمان وأمسى ... حلماً في دوائر الأحقاب
ومضت نزوة الشباب سراعاً ... وانطوت صفحة الهوى من كتابي
فإذا العمر حلم ليلة أنس ... في فراش من الأماني العذاب

(و يفرط «هارون» في خياله فيتذكر ابنة عمه فتهتاجه الذكرى و يلتفت إلى فتاته قائلاً):

هارون : غني، ما شئت فقد جن الدجى ... والغنا يحلو إذا الليل سجى

(وتغني الفتاة المقطوعة الآتية والموسيقى مصاحبة) :

الغناء : رق ليلي وراق ليل غرامي ... «ودعاني إلى الهوى ما دعاني»
فاستجابت إليه نفسي وروحي ... وانتشت منه صاديات الأماني

قهقه الدهر من ضلال مسيري وانطلاقي وراء سرب الغواني
حائر الطرف استعير دليلي من غرامي ومن سناء جناني
يا سهارى النجوم أين حبيبي؟ أين عودي وأين دف قياني؟
رب ليل وصلته بصباح ونهار قطعته أضناني
أنا يا ليل ناي حزن عميق رن إيقاعه بكل مكان
أيها اللابس السواد دواما أنا و«ياك» يا أخي صنوان
قد وأدنا غرامنا وهو طفل يا لعظم المصاب والخسران

(المشهد الثالث والثلاثون)

(نرى «ضحى» في فراشها تتأمل صورة «خالد» وتقبلها وتغفو على القبل):

(المشهد الرابع والثلاثون)

(نرى هارون ورفقاءه مجتمعين في بيت أحدهم يتحدثون) :

الأول : كل شيء مضى: قل لنا سر هذا الغنى ؟
هارون : إنه سر عميق جذره لست مفشيه
الثاني : أسر بيننا ؟
هارون : لا : ولكن ...
الثالث : دعك من (لكن ولا)

الـــــــرابـــع : هــات مــا عــنــدك فــصّـلـه لـنـا

هـــــــــارون : بنت عـمـي وجـدتها ...

(و يتلهفون لمعرفتها فيقول أولهم) :

الأول : أين يا هارون ؟

هـــــــــارون : في «مصـــر»

الـــثـــانـــي : هنـــا ....

الـــثـــالـــث : مـا اسـمـهـا ؟ كـيـف أتـت ؟

الـــــــرابـــع : ما شغلهـا ؟

(و يبتسم «هارون» قائلاً) :

هـــــــــارون : ليلة القدر اسمها

الأول : يا بختهـــا

هـــــــــارون : لست أدري كيف جاءت ههنا

الـــثـــانـــي : لـيـس هـذا شـأنـنـا بل شأنها

هـــــــــارون : اسـمـهـا يـشـدو بـه كـل فـم ذكـرهـا فـاتحـة المـسـتـلـهـم

هـتـفـت مصر وأهـلـوهـا بـه وجـرى الـنـيـل بعذب الـنغم

وحـدت صـحـراؤه ألحـانهـا فـانـتـشـت منها سـفـوح الهرم

(وتستولي الدهشة على المجتمعين ثم يقول أولهم معاتباً) :

الأول : « هـارون » ...

(و يقاطعه ثانيهم متهكماً) :

الثاني : «مجنون ليلى»

(و يسبح « هارون» في ذكرياته) :

هارون : يا له شرفاً أن أنتمي في هواها للمجانين
الثالث : أأنت تهزل ؟
هارون : بل جاد ورب « ضحى »
الرابع : ومن « ضحى » ؟
هارون : ملء سمع الدهر والعين
الأول : « ضحى » ؟
هارون : أجل بلبل لبنان أرسله بشرى تردد في أرض الفراعين

(و يغضب ثانيهم وقد ظن أنه يسخر منهم فيقول متهكّماً) :

الثاني : «ضحى» مغنية الوادي وبلبله قريبها أنت ؟
هارون : إي والله ...

(و ينتصب ثانيهم غاضباً يريد أن يضرب هارون فيقول) :

الثاني : « سيبوني »
«أدشدش» العظم منه

(ويمسك به أولهم مهوّناً الأمر قائلاً) :

الأول : من يصدقه أين الثريا سنى من شكله الطين



(و يقابل « هارون » الموقف بتؤدة وصبر فيقول لثانيهم) :

هارون : **هوّن عليك أخي وانظر معي لترى**

(و يريهم صورة له مع « ضحى » وهما في لبنان و يقول) :

آيات صدق على قولي وتبييني

(و يقتنعون و يصدق قوله فيقول أولهم) :

الأول : **صدقت عفوك**

الثاني : **سامحني على حمق فالعفو....**

(و يقاطعه « هارون » قائلا) :

هارون : **ذلك من طبعي ومن ديني**

الثالث : **حيوا « ضحى »**

الجميع : **فلتعش وليحي موطنها**

هارون : **لبنان يا وطن الغر الميامين**

الرابع : **إذاً فسعدك قد وافت بشائره**

الأول : **ومن أعديلك في دنيا الموازين**

الثاني : **عز...**

الثالث : **وجاه ...**

الرابع : **ومال لا نفاد له**

الأول : **فانعم بحبك واسعد بالملايين**

(تمر بوجه « هارون» سحابة حزن لا تلبث أن تنهمر في قوله والألم يعتصره) :

هـــــارون : « ضحى » ... لغيري

(و ينقلب مديحهم إياه إلى سخرية فيقول ثانيهم) :

الـثـــانـي : إذاً ما قلته حلم
الـثـــالــث : غداً ستلبس ثوب الفقر والهون
الـــرابــع : غـــداً ســـترجــع « ريمــا »
الأول : يـــالـــــــه مـــثـــــلاً ما قيل إلا على أمثال «هارون»

(و يبدأون سيلاً من الأسئلة يفتتحه الثاني بقوله متهكّماً) :

الـثـــانـي : ومن حبيب «ضحى» المحظوظ ؟
هـــــارون : ذاك فتـى مازال طالب تعليم وتمرين

(وتتحكم النكتة في ثالثهم فيقول) :

الـثـــالــث : وأنــت طــولاً وعــرضــاً ...
الـــرابــع : منطقاً وحجى مازلت تجهل طبع الحور والعين

(ويحرج « هارون» تهكمهم اللاذع فيريد أن يداري الموقف وإذا به يتعثر فيقول) :

هـــــارون : كيف التخلص من هذا الدخيل ؟.

(ينتحي الأربعة وحدهم في ركن من الغرفة يتشاورون وعندما يستقرون على رأي يقول أولهم لهارون):

الأول : نـرى

(ثم يسر في أذن «هارون» شيئاً نرى أهميته على وجهه وعندما ينتهي المسر يقول «هارون»):

هارون : أخشى المباحث ... رأي خطير ونصح غير مأمون

الثالث : لا تخشى فليس لدى قوم المباحث علم باسم «هارون»

(يفكر «هارون» في هذا الأمر ملياً ثم يستقر رأيه على أن يزج بهم فيه ولا سيا وهو غريب وهم أعرف بمداخل بلدهم ومخارجها فيقول):

هارون : تعالوا ... نشترك قولاً وفعلاً فأنتم عارفون بكل حته
وأنتم بالبيوت أشد علماً وبالحارات أجمع والأزقه

(يتشاور الرفقاء فيا بينهم سراً، وعندما ينتهون ينتحي أولهم بهارون و يسر إليه بما اتفقوا عليه فيجيب هارون):

هارون : أؤيد ما أرتأته الأغلبية

الجميع : ونحن بدورنا جند القضيه

(المشهد الخامس والثلاثون)

(نرى خالداً يصلح هندامه وبعدما ينتهي ينزل مسرعاً في طريقه إلى بيت «ضحى» وعندما يصل إلى «نقطة الصفر» ينقض عليه «هارون» بخنجره يريد قتله فيتلقى «خالد» الضربة بيد ويلكمه باليد الأخرى فيقع أرضاً ينفلت الخنجر من يده فيسرع «خالد» لالتقاطه فيعاجله أحد أفراد العصابة بعصا في رأسه فيسقط في مكانه ويستل آخر منهم خنجره ليجهز عليه وإذا بصفارة البوليس تدوي، وإذا الناس في ركابه يحاولون القبض على الجناة الذين يتوارون في سرعة لا يستطيع رجل البوليس ومن معه اللحاق بهم والعثور عليهم فينقلون الجريح المغمى عليه إلى أقرب مستشفى لإسعافه).

(المشهد السادس والثلاثون)

(نرى أفراد العصابة مجتمعين في أحد أوكارهم وقد خيّمت عليهم كآبة الخيبة. على أنهم لا يلبثون أن يستردوا رباطة جأشهم فيقول أولهم مخاطباً «هارون»):

الأول : **خسرنا الجولة الأولى وحالف سعينا الفشل الذريع**

(ويتكلم «هارون» خجلاً وهو يمسح الدم المنبثق من وجهه) :

هـــــــــارون : فمـاذا تـرتأون ؟

الــشـــــانــي : نـرى لزامـاً عـلـيـنـا فـعـل إجـراء سـريـع
فـللبـولـيس يا صـحـبي عـيـون عـلـيـنـا أن نـضـللـهـم جميع

الــشــــالــث : وكـيـــف ...
«ضـحـى» سـتـرشـدهـم إلـيـنـا عـلـيـنـا خطـفـها قبـل الجـمـيـع

(وتروق الفكرة لـ« هارون» وقد انغمس في الجريمة فيقول) :

هـــــــــارون : لئن لم تـفـعـلـوا هـذا فـإنّـا سـنـكـشـف «للمباحث» لا محاله
«ضـحـى» لا شك تخبرهم بأمري وكـيـف هـربـت مـن وجه العداله
وكـيـف دخلـت سـراً أرض مصر

(و يصفعه أولهم على قفاه مغتاظاً من عمله و يقول) :

الأول : عـظيم في الـغـبـاوة والجـهـالـه

(و يستمر ثانيهم في شرح خطته قائلاً) :

الــشـــــانــي : أجـل خـطـف ولـكـن لـيـس خطفا كأن ضحى اختفت خوف العقاب
أرادت قـتـل صـاحـبـهـا فـلما نجـا ولّـت على عـجـل الـغـيـاب

(و يؤ يد ثالهم الفكرة قائلاً) :

الــشــــالــث : «ضحى» ستتهم هارونا به وضحى هي الـدلـيل على تبيان «هارون»
فإن خطفنا ضحى غاب الدليل على قوم «المباحث»

(و يقاطعه رابعهم قائلا) :

الـــــــرابـــع : «هارون» ليس لنا نفع به أبداً — حراً غدا أم غدا بين المساجين
رأيٌ جِـــدُّ مـــأفـــون

(و يقاطعه أولهم وكبيرهم قائلاً) :

الأول : كلا . سلامة «هارون» سلامتنا — وحظنا حظه في العسر واللين

(المشهد السابع والثلاثون)

(وتبدأ خطة العصابة بمهاتفة «ضحى» التي تجيب على التليفون فيخبرها المهاتف بحادث «خالد» فترمي بالسماعة وتأخذ شنطتها وتركب سيارتها على عجل وفي إحدى الطرق الخلفية تعترض طريقها سيارة جيب و ينزل من فيها و يكمّون «ضحى» بكمامة فيها مخدر و ينقلونها إلى المكان الذي أعدوه لها و يتخلف أحدهم ليسوق سيارة «ضحى» إلى محطة «بوابة الحديد» وهنالك يتركها كما هي و يعود إلى صحبه).

(المشهد الثامن والثلاثون)

(و يصحو «خالد» من إغمائه، ومن حسن حظه أن الضربة كانت غير خطيرة.
و يعود وكيل النيابة و يأخذ أقواله و بعد الانتهاء نراه يودعه قائلاً) :

وكيل النيابة : نتمنى لك الشفاء قريباً

خالد : يسّر الله بحثكم والدوربا

(المشهد التاسع والثلاثون)

(ويخرج وكيل النيابة من عند «خالد» و يقصد دار «ضحى» لأخذ إفادتها و يدخل الدار فيسأل الخادم):

وكيل النيابة : أين مولاتك قل لي، يا رجل أهناً أم ليس في الدار أحد ؟

الخادم : هاتفها شخص فلما انتهيا خرجت كالبرق عجلى وأشد

وكيل النيابة : أين صارت ؟

الخادم : لست أدري ..

وكيل النيابة : أترى وحدها سارت (وإلا كان حد)

الخادم : وحدها كانت تقود العربه

(و يغيّر وكيل النيابة مجرى السؤال فيقول) :

وكيل النيابة : « خالد » تعرفه ؟

الخادم : نعم الولد

وكيل النيابة : «خالد» منذ متى زاركم

الخادم : قبل يومين...

وكيل النيابة : متى ؟

الخادم : يوم الأحد

(المشهد الأربعون)

(نرى «ضحى» غائبة عن صوابها على سرير في غرفة محكمة الأبواب والشبابيك خالية من الأثاث إلا من منضدة عليها إناء ماء وجوارها كرسي):

(المشهد الواحد والأربعون)

(ويجتمع أربعة من ضباط المباحث للتشاور في هذه الجريمة واختفاء «ضحى» وعلاقتها بهذه الجريمة):

أحد الضباط : **«ضحى» غادرت إثر الجريمة دارها — إلى حيث لا ندري لعمري مصيرها**

الثاني : **و «سي» فؤاد ابن عمها**

الثالث : **شخصية غريبة أطوارها**

الرابع : **من أين جاء يا ترى — وهل له علاقة فيما جرى**

الأول : **أسئلة نحار في جوابها**

الثاني : **جريمة مغلقة أبوابها**

الثالث : **«فؤاد» في رأيي أنا مفتاحها — وعنده، من غير شك، سرها**

(المشهد الثاني والأربعون)

(وتصحو «ضحى» من إغمائها فترى أنها في غير دارها فتعتريها رهبة ثم لا تلبث أن تتشجع فتقوم من مكانها إلى الباب تسترق السمع وعندما تتأكد أن الصمت سائد تحاول فتح الباب فتجده موصداً فتلتفت لعلها تجد منفذاً آخر فلا تجد إلا مناور في أعلى الحيطان لا يمكن أن تصل إليها إلا بسلم. تقف تفكر، وبحركة لاشعورية تسرع إلى الباب فتدقه بشدة وتصرخ ولا من مجيب. ولما تكل يداها تجلس على الكرسي تفكر في هذا المصير الجديد).

(المشهد الثالث والأربعون)

(نرى وكيل النيابة وضابط البوليس وعمدة الحي يختمون دار «ضحى» بالشمع الأحمر بعد أن جردوا محتوياته):

(المشهد الرابع والأربعون)

(ويشفى «خالد» من جراحه، ويخرج من المستشفى ويقصد تواً إلى دار «ضحى» فيجدها مشموعة فيذهب إلى قسم البوليس فيسمع ما لا يشفي غليله فيعود أخيراً إلى سكنه والحزن يحز نفسه).

(المشهد الخامس والأربعون)

(وتنتهز «ضحى» دخول الخادمة بالطعام فتنقض عليها وتطرحها أرضاً وتضربها حتى يغمى عليها ثم تسرع إلى الباب وتخرج ولكن الحظ يخونها فيمسكها الحراس و يعيدونها إلى غرفتها، و يرجعون حاملين الخادمة المغمى عليها).

(المشهد السادس والأربعون)

(و يتلقى رئيس قلم المباحث أخباراً من لبنان — بعد سؤاله — فيدعو زملاءه لإطلاعهم، وعندما يجتمعون يقول لهم):

رئيس المباحث : **سألنا عنه من لبنان قالوا: فؤاد قاتل الأرتيست «سونيا» عريق في الجريمة والتخفي وتوريد المخدر والبغايا**

(المشهد السابع والأربعون)

(و يؤدي «خالد» الامتحان السنوي النهائي و ينجح بتفوق. نرى أحد أساتذته يهنئه):



الأستـــاذ : هنيئاً لاجتيازك...

خـــالـد : ألـف شـكـر لـقـد عـلـمـتـنـا الـشـيء الـكـثـيرا
فـوردك كـان لـلـرواد عـذبـاً ونـبـعـك كـان يـنـبـوعاً غـزيـرا

الأستـــاذ : فـكـن عـون الـضـعـيـف على قـوي وكـن لـلـحـق يـا ولـدي نـصـيـرا

(و يذهب «خالد» عقب انصراف أستاذه إلى دائرة البرق فيبرق لأبيه بنجاحه وبموعد حفلة الشهادة و يعود إلى مسكنه فيعاوده حزنه وألمه. يدخل عليه صديق له فيجده على هذه الحال فيقول):

الصديق : تبكي لبعد «ضحى» هل هذه مثل من الرجولة أين الصبر والجلد؟

خـالـد : أبكي لأن طريق البحث متجه إلى اتهام «ضحى»

الصديق : هل أنت تعتقد ؟

خـالـد : كلا «ضحى» خطفت قسراً بفعل يد أثيمة

الصديق : هل لمن يدعى «فؤاد» يد؟

خـالـد : أخال أن يديه جد ضالعة في الأمر وهو لعمري الرأس والجسد
لكن «ضحى» لم تقل لي قط إن لها أبا أو لها عمّاً له ولد

الصديق : ليس البكاء براد من تحب ..

خـالـد : إذاً

الصديق : فلنبحثن ولا يدري بنا أحد

(المشهد الثامن و الأربعون)

(نرى فؤاداً في مكان ما من الصحاري المحيطة بالقاهرة وهو يتسلم طرب الحشيش من مهربيها البدو فيضعها في سيارته، و يعود إلى القاهرة لتوزيعها).

(المشهد التاسع والأربعون)

(و يتنكر « خالد » وصديقه بعد أن حصلا على صورة « فؤاد » بطريقة ما و يشرعان يجوبان أزقة القاهرة ومقاهيها الرخيصة أياماً وليالي . وفي منتصف إحدى الليالي يشعران بالتعب فيجلسان في أحد المقاهي « البلدي » و بعد أن يستريحا يستأنفان جولتهما . وفي الطريق يلحق بهما أحد السماسرة ، وقد حسبهما صيداً دسماً فيدعوهما إلى السهر معه ، فيقبلان الدعوة لعلهما يجدان ضالتهما فيها) .

(المشهد الخمسون)

(و يتبعان السمسار . و بينما هما يمشيان يستعرضان من في المكان استعراضاً خاطفاً ، وأخيراً يجلسهما السمسار إلى منضدة ويجلس هو معهما و يتطلع هنا وهناك ثم يشير إلى واحدة كانت تجلس إلى خوان قريب منهما والسيجارة في يدها وزفراتها تتصاعد من صدرها ، و يقول) :

السمسار : **هذه « ولعه »**

(يتطلعان إليها و يقول الصديق) :

الصديق : **باين عليها**

السمسار : إنها شمعه

خالد : «نورها» فيها

السمسار : ما انطفى : ما اختفى

الصديق : إنها تبدو حزينه...

السمسار : يا خساره تحرق الهم دمعة وسيجاره

خالد : إنها قصه؟

الصديق : ألها وقعه؟

السمسار : « وقعة سوده »

(يأتي الجرسون فيسر إليه الصديق فيذهب ويحضر شراباً للجميع. يستدرجه «خالد» ليكمل القصة قائلاً):

خالد : من يا ترى ؟

الصديق : صف ما جرى ؟

(ويجرع السمسار «قدحه» فيصفق «خالد» فيأتي الجرسون فيشير إليه أن يأتيه بغيره فيفعل و يسر السمسار فيقول):

السمسار : أحبّها فتى لبناني

(وتستولي عليها الدهشة حتى لتكاد تفضح شخصيتها. على أنها يتمالكان نفسيهما و يستر «خالد» الموقف بقوله):

خالد : وبادلته الحب والأماني

السمسار : وسلمته نفسها

الصديق : وبعد ما افترسها

وأشبعتـــه ...

السـمـســـار : **« سـابـهـا »**

خـــالــد : **« كأي موضه »**

(و ينقد « خالد » السمسار قائلاً) :

خـــالــد : **ادعها تجلس « معانا »**

(يذهب السمسار في سرعة فيلتفت الصديق إلى « خالد » والفرحة تشيع في وجهه) :

الصـديـق : **إنـه الحظ « أتانا »**

خـــالــد : **بـان خيط القضيه**

(المشهد الواحد والخمسون)

(نرى فؤاداً وهو يوزع طرب الحشيش على الزبائن و يقبض الثمن وصحبه من حوله).

* * * *

(المشهد الثاني والخمسون)

(نرى «ولعه»، وخالداً وزميله يتحادثون وولعة تتكلم والعبرات تنهمر من عينها):

ولعـــــه : **بكيت فلم يلن دمعي ونوحي لـه قلبـاً وما نـفـع الـبكاء**

(ويربت «خالد» على كتفها مهوّناً الأمر عليها ويقول) :

خــالــد : **هـي الـدنـيـا تـمـر فـرب يـوم نسر بـه وأيـام نـسـاء**

(وتتلفت «ولعه» يمنة ويسرة ثم تقول) :

ولـعـــه : **لأنتقمـن منـه...**

(ويقول صديق «خالد» مشجعاً ومؤيداً) :

الـصـديـق : **ثـقـي، كـلانـا بـأمـرك...**

خــالــد : **بـل ونحـن لـك الـفـداء**

(ويمسح الصديق دموعها، ويشعل «خالد» سيجارة لها، بعد أن حدثها فتبتسم بعد عبوس وتجلس قريرة مطمئنة.

(المشهد الثالث والخمسون)

(نـرى فؤاداً وهارون و بطانته داخلين وكرهم الليلي السري . فيرحب بهم صاحب الـوكـر وخـدمـه ويحـف بهـم بعض الأتباع . وانتظم عقد الجميع حول مائدة حوت أشهى الطعام وطيب الشراب) .

(المشهد الرابع والخمسون)

(نـرى «ولـعـه» في زي بـلـدي تـدخـل في زقـاق ضـيـق ، و يـتـبـعها عن بعد خالد وصـديـقـه ، حـتى إذا ما وازت إحدى البوابات انحنت كأنها تلتقط شيئاً ثم تسير في طر يـقها و يتوقف المتابعان و يغيران اتجاههما ثم يعودان من طر يق آخر إلى المكان الـذي انحنت فيه «ولعة» ويجلسان لدى بائع فول وطعمية و يطلبان أكلاً فيتلهيان بـه ، وعـيـنـاهـمـا تـراقـبـان في حذر كل من يدخل تلك البوابة . و بينما كان صاحب الـفـول والـطـعمية على وشك التشطيب وإغلاق المحل ، وخالد وصديقه في حيرة من أمـرهـمـا إذا بهما يـسـمـعـان جلبة عند البوابة المذكورة ، وإذا بها تفتح على مصراعيها ، ويخـرج «فـؤاد» يحـف بـه رفـاقـه فـيتهـيأ «خالد» وصديقه لتتبعهم و يسير فؤاد في مـوكـبه و يتابعانه عن بعد في حذر وخشية حتى إذا رأوهم يدخلون أحد الدور عادا مسرعين ليخبرا البوليس) :

(المشهد الخامس والخمسون)

(و يدخل «فؤاد» غرفة «ضحى» فتهب مرعوبة وترتجف خوفاً حينما تراه ثملاً وعيناه تبرقان شبقاً فتتحفز للدفاع عن نفسها عندما تشاهده يقترب منها وهو يقول:)

فؤاد (هارون) : **خالد مات يا ضحى وأبوك   مات من قبل في دياجي المصير**

(وتظهر «ضحى» التجلد إذ تقول) :

ضحى : **خالد قد قتلته...**

(ثم لا تستطيع الوقوف فتجلس مكانها تبكي وتقول) :

يا لبؤسي   رب رحماك في المصاب الكبير

(و يقترب منها «فؤاد» قائلاً) :

فؤاد (هارون) : **إن تزوجتني نجوت وإلا   صرت حتماً إلى المصير المرير**

(يحاول ضمها فتدور معركة بينها و يتمكن من تقبيلها قسراً، وتفلت منه وتضرب به بقلة الماء فتشج رأسه و يسيل دمه فيدخل اثنان من رفاقه على الصوت فيخاطبها قائلاً):

اربطوها واجلدوها ومن الزاد احرموها

(يتعاونان على «ضحى» فيوثقانها ويجلدانها حتى يغمى عليها، وإذ يقفان عن الضرب يدخل أحد رفاقهم لاهثاً يصرخ):

أحد الرفاق : داهمنا البوليس ...

(و يضطرب «فؤاد» و يقول) :

فؤاد (هارون) : يا للهول هيا اسرعوا، ودافعوا..

(ثم يقول لنفسه) :

يا «دلي» (١)

(و يسحبون مسدساتهم وتدور بينهم و بين البوليس معركة حامية وعندما يرى «فؤاد» أن اثنين من رفاقه قتلا وأن الباقين على وشك الاستسلام يصمم على قتل «ضحى» فيذهب إلى مخدعها فيجد خالداً قد سبقه إليها وشرع في فك وثاقها. يهم «فؤاد» بضربه وإذا برصاصة من مسدس «خالد» أسرع فترديه قتيلاً. و بعد استسلام بقية أفراد العصابة، يهرع رجال البوليس إلى غرفة «ضحى» فيرون خالداً بجوارها يحاول إسعافها فيحملونها إلى أقرب مستشفى. وعندما تصحو ترى خالداً وضابط البوليس و وكيل النيابة والطبيب المسعف و بعض الممرضات تقول):

ضحى : الحمد لله نجاني وكنت على وشك الهلاك بأيدي المجرم العاتي

(١) كلمة عامية تستعمل في سوريا ولبنان للتعبير عن فداحة الأمر.

(ثم تلتفت إلى الحاضرين وتقول) :

شكراً لمن أنقذوني من مخالبهم وخلصوني من كرب وويلات

(المشهد السادس والخمسون)

(نرى «ضحى» وخالداً في طريقهما إلى مطار القاهرة الدولي لاستقبال والد «خالد» ، وفي المطار يقفان خلف الحاجز ينتظران وصول الطائرة المقلّة لوالده والتي نشاهدها وهي تهبط تدريجياً على أرض المطار. وعندما تستقر وبعد اتخاذ الاجراءات الرسمية، يبدأ ركابها في النزول. و ينزل عامر ووراءه «خطار» وتبصر «ضحى» أباها فتصرخ بصوت عال) :

ضحى : بابا ...

ثم تقفز من فوق الحاجز بخفة عجيبة تذهل الواقفين بما فيهم بوليس المطار وتركض مسرعة نحو الطائرة وهي تكرر «بابا : بابا» و يضطر خالد ورجال البوليس إلى اللحاق بها. وهنالك يشاهد الجميع خطاراً وهو يحتضن ابنته وهي تمتار وجهه لثماً وتقبيلاً وهو يقول) :

خطار : إلـٰـهي لك الحمد الجزيل على شمل جمعت ...

(و يتطلع «خالد» إلى «ضحى» و يقول والسرور يرنح عطفيه) :

خـــــالـــد : «ألِيلِي» أنــت ...

(وتجيبه «لِيلِي» والفرحة تغمرها) :

لِـــيــلِـــي : بالــذات ...

* * * *

فهرست

المشهد	الصفحة

المشهد	الصفحة

* * * *

إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : **الكتاب العربي السعودي**

صدر منها :

الكتاب		المؤلف
• الجبل الذي صار سهلاً		الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر		الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية		الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية		الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا		الدكتور سليمان محمد الغنام
• الظمأ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
• الدوامة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى	(قصة طويلة)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة		الدكتور علي طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين ؟		الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية		الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين		الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل		الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة	(دراسة وتحقيق)	الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية	(شعر)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام		الشيخ حسين باسلامة
• وقفة		الدكتور عبد الله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن		الأستاذ عبد الله الحصين
• علم إدارة الأفراد		الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
• الإبحار في ليل الشجن	(شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان		الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجهاً لوجه		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الحضارة تحدٍّ		الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات	(شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف		الأستاذ فؤاد صادق مفتي

- الرجولة عماد الخلق الفاضل — الأستاذ حمزة شحاتة
- ثمرات قلم — الأستاذ محمد حسين زيدان
- بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ حمزة بوقري
- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة — الأستاذ محمد علي مغربي
- النجم الفريد (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- مكانك تحمدي — الأستاذ أحمد محمد جمال
- قال وقلت — الأستاذ أحمد السباعي
- نبض ... — الأستاذ عبد الله جفري
- نبت الأرض — الدكتورة فاتنة أمين شاكر
- السعد وعد (مسرحية) — الدكتور عصام خوقير
- قصص من سومرست موم (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- عن هذا وذاك — الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الأصداف (شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- الأمثال الشعبية في مدن الحجاز — الأستاذ أحمد السباعي
- أفكار تربوية — الدكتور إبراهيم عباس نتو
- فلسفة المجانين — الأستاذ سعد البواردي
- خدعتني بحبها (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبد الله بوقس
- نقر العصافير (شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- التاريخ العربي وبدايته — الأستاذ أمين مدني
- المجاز بين اليمامة والحجاز — الأستاذ عبد الله بن خميس
- تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها — الشيخ حسين عبد الله باسلامة
- خواطر جريئة — الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ
- السنيورة (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- رسائل إلى ابن بطوطة (شعر) — الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- جسور إلى القمة — الأستاذ عزيز ضياء
- تأملات في دروب الحق والباطل — الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
- الحمى (شعر) — الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- قضايا.. ومشكلات لغوية — الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز — الأستاذ محمد علي مغربي
- الشوق إليك (مسرحية شعرية) — الأستاذ حسين سراج

تحت الطبع :

- كلمة ونصف — الأستاذ محمد حسين زيدان
- زيد الخير — الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مشواري مع الكلمة		الأستاذ حسن عبد الحي قزاز
• وجيز النقد عند العرب		الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• لن تلحد		الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
• الإسلام في نظر اعلام الغرب		الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• قصص من طاغور	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• أيـامي..		الأستاذ أحمد السباعي
• ماما زبيدة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عزيز ضياء
• مدارسنا والتربية		الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
• دوائر في دفتر الزمن	(مجموعة قصصية)	الأستاذ سباعي عثمان
• من حديث الكتب		الأستاذ محمد سعيد العامودي
• الموزون والمخزون		الشيخ أبو تراب الظاهري
• ألحان مغترب	(شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• هكذا علمني وردزورث		الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
• وحي الصحراء		الأستاذ عبد الله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود
• لجام الأقلام		الشيخ أبو تراب الظاهري
• أصداء قلم		الأستاذ محمود عارف
• قراءات في التربية وعلم النفس		الأستاذ فخري حسين عزي
• إليهـــا	(شعر)	الأستاذ حسين سراج
• حتى لا نفقد الذاكرة		الأستاذ سعد البواردي
• غرام ولادة	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين سراج
• أحاديث		الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
• نقاد من الغرب		الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• شيء من حصاد		الأستاذ حامد مطاوع

سلسلة:

الكتاب الجامعي

صدر منهـا:

- الإدارة: دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — الدكتور مدني عبد القادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الانجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان جمجوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبد السلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبد المنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقلية
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) — الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
- مبادىء القانون لرجال الأعمال — الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- مشكلات الطفولة — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبد الرحمن فكري، الدكتور محمد عبد الهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الانجليزية) — الدكتور أمين عبد الله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق

تحت الطبع:

- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبد الوهاب علي الحكمي
- هندسة النظام الكوني في القرآن — الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد



صدر منها :

الكتاب	ملاحظة	المؤلف
• حارس الفندق القديم		الأستاذ صالح إبراهيم
• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك	(باللغة الانجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
• التخلف الإملائي		الأستاذة نوال قاضي
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	(باللغة العربية)	إعداد إدارة النشر
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	(باللغة الانجليزية)	
• تسـالي		الدكتور حسن يوسف نصيف
• مجلة الأحكام الشرعية		الشيخ أحمد بن عبد الله القاري
	(دراسة وتحقيق)	الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
• النفس الإنسانية في القرآن الكريم		الأستاذ إبراهيم سرسيق
• خطوط وكلمات	(رسوم كاريكاتورية)	الأستاذ علي الخرجي
• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية	(باللغة الانجليزية)	الدكتور عبد الله محمد الزيد
• صحة العائلة في بلد عربي متطور	(باللغة الانجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
• مساء يوم في آذار	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
• النبش في جرح قديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبد الرؤوف
• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام		الدكتور محمد أمين ساعاتي
• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك		الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
• العقل لا يكفي	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي الشيخ

تحت الطبع :

الكتاب	ملاحظة	المؤلف
• الموت والابتسامة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
• أيام مبعثرة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
• رحلة الربيع		الأستاذ فؤاد شاكر
• مواسم الشمس المقبلة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
• الوحدة الموضوعية في سورة يوسف		الدكتور حسن محمد باجودة
• ماذا تعرف عن الأمراض ؟		الدكتور إسماعيل الهلباوي
• الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية		الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
• ملامح وأفكار مضيئة		الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• أضواء على نظام الأسرة في الإسلام		الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- سوانح وخطرات — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
- القرآن.. ودنيا الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- أدباؤنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي بركات

رسائل جامعية

صدر منها:

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزي
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — الأستاذة أميرة علي المداح
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود
- الخراسانيون ودورهم السياسي — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- القصة فى أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله باقازي

تحت الطبع:

- نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- افتراءات فليب حتّى، وبروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبد الكريم علي باز
- الامكانات النووية للعرب وإسرائيل — الأستاذ صدقة يحيي فاضل
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبد الحي رضوان

كتاب الناشئين

وطني الحبيب

صدر منها:

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

تحت الطبع:

- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- حكايات للأطفال — الأستاذ عزيز ضياء
- قصص للأطفال — الأستاذة فريدة فارسي

كتاب للأطفال

لكل حيوان قصة ـ الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

صدر منها:

- القرد..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الجمل
- الذئب
- الأسد
- البغل
- الفأر..
- الحمار الأهلي
- الفراشة
- الخروف
- الفرس
- الدجاج
- البط
- الغزال
- الحمار الوحشي
- الببغاء
- الوعل
- الجاموس
- الحمامة

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
  By F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat
  Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Bahha Bin Hussain Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia

المطبعة العربية Arabian Printers
تليفون ٦٧١٧٦٧٧ – جدة